

الرقم التسلسلي: 2015/.....

كلية الآداب واللغات

رقم التسجيل: 13/MD12/290

قسم اللغة والأدب العربي

السياق عند علي آيت أشان

من خلال كتابه السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي فرع: أدب عربي تخصص: نقد أدبي حديث

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ:

وهاب خالد

- بن جودي وهيبة

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة:

- محمد أمين بوضياف رئيسا

- محمد زهار مناقشا

- وهاب خالد مشرفا

السنة الجامعية: 2015/2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَامُ

أصبحت الدراسات العلمية تعبر اهتماما كبيرا للمصطلح ، نظرا لدوره في بناء النظريات والمناهج فالتحكم فيه يعد تحكما في المعرفة المراد إبلاغها والقدرة على ضبط أنساقها، لذا وجب إبراز ما يحمله من أفكار ومرجعيات ، سواء كانت مفردة أو متعددة، والتي يكونها عبر تشكله في حقول علمية وإنسانية واجتماعية، كما أن تعدد المفاهيم التي يدل عليها اللفظ تعني أن له معنى مركزي هو النواة ،ومعاني هامشية ثانوية اكتسبها بفعل دورانه المتجدد في أنساق كلامية مختلفة ،حتى أضحى المعنى المركزي يدور في فلك المعاني الثانوية، ومنه أضحى طريقا لرفع اللبس في الدلالة يمر عبر السياق اللغوي أو الخطابي أو معانية المقام الذي يتمثل في المعطيات الخارجية والنفسية، وتبعا لذلك فان دلالة الكلمة تتعدد بتعدد السياقات وتنوعها؛ أي تبعا لتوزيعها اللغوي ونظرا لأهمية السياق وما حققه في مجال تحليل النصوص على اختلاف أنساقها ، كان لا بد من طرح إشكالية نستطيع من خلالها أن نطرق بعضا من جوانب السياق ولأن بيان ماهية الشيء والتعريف بحقيقته مقدمة للحكم عليه ما لم يحدد الباحث حقيقة الموضوع الذي يتحدث عنه لم يتمكن من التعريف بأحكامه وأثاره ووظائفه وقد سعت من خلال بحثي هذا إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة وهي:

- ما المراد بالسياق في الدراسات العربية القديمة؟

- هل ظهرت هناك جذور لنظرية السياق الحديثة في مناهج البلاغيين والنحويين والأصوليين والمفسرين؟

- ما هي أسباب إعمال السياق عند هؤلاء؟

- هل يختلف مفهوم الغربيين للسياق عن العرب؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، رأيت أنه من الضروري أن أدرس مدونة تتحدث عن هذا الموضوع

فلخترت كتاب "السياق والنص الشعري-من البنية إلى القراءة-" لـ علي آيت أشان

- فإلى أي مدى وفقت الدراسات النقدية العربية عموما وكتاب "السياق والنص الشعري" لـ علي آيت

أشان في تحديد مفهوم إجرائي للسياق؟

هذا وقد حاولت ربط مفهوم السياق بالنص لأنه مجاله الذي يطبق فيه فتعرضت لمفهومه عند العرب

إضافة إلى الغرب من خلال مختلف الاتجاهات منها لسانيات النص وتحليل الخطاب والبنوية

والسميائيات، أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فتتمثل في شغفي بموضوع علم الدلالة ، والتراث

العربي الذي كثيرا ما أهمل رغم أهميته وقلة الدراسات المتعلقة به، وعدم إعطاء مقارنة دقيقة بين ما

توصل إليه العرب والغرب في هذا المجال، وهذا وقد اطلعت على مجموعة من الدراسات السابقة والتي اهتمت بالسياق وحاولت تحصيل مفهوم إجرائي له من بينها بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير بعنوان "دلالة السياق عند الأصوليين" الذي قدمه سعيد بن مقبل بن عيسى العنزي في جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية سنة 2008 وهو عبارة عن دراسة نظرية وتطبيقية بحثت تعريف دلالة السياق وأقسامها وضوابطها و أثر دلالتها في مبادئ اللغة وفي المنطوق وفي المفهوم إضافة إلى دراسة أخرى بعنوان "جذور النظرية السياقية في التراث اللغوي العربي كتاب الخصائص أنموذجاً" وهي بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تخصص تعليمية اللغة والدرس اللساني العربي من إعداد محمد حداد بجامعة ابن خلدون تيارت سنة 2005\2006 وقد جمعت هذه الدراسة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي حيث أشارت إلى ملامح السياق في التراث العربي في مختلف المجالات من النحو والبلاغة و وعلم الأصول والتفسير والدرس اللغوي الحديث من خلال النظريات اللسانية الحديثة كما درس ظواهر مختلفة متصلة بالسياق والتي تجلت في كتاب الخصائص ل ابن جني، إضافة إلى كتاب في علم الدلالة ل محمد مختار، وكتاب نظرية السياق دراسة أصولية ل قادر كريم الزنكي.

ولإجابة عن الإشكالية السابقة اتبعت الخطة التالية :

أولاً: مدخل أشرت فيه إلى أهمية السياق وأركانه وأقسامه.

ثانياً: الفصل الأول حددت من خلاله مفهوم كل من النص والسياق من الناحية اللغوية، حيث تطرقت له عند العرب، انطلاقاً من دراسات كل من البلاغيين والأصوليين والنحويين والمفسرين أما عند الغرب فقد حددت السياق قبل فيرث عند كل من دوسوسير وفيندرس جاكسون وبلومفيلد ومالينوفسكي ثم بعد فيرث من خلال التحويليين ونظرية أفعال الكلام وعلم لغة النص.

ثالثاً: الفصل الثاني عرضت فيه السياق من خلال كتاب أوشان، فحاولت تلخيص الكتاب وتحديد أهم القضايا التي جاءت فيه مثل علم أصول الفقه والتداوليات عند كل من "أوستن" و"فرانسواز أرمينكو" وجمالية التلقي عند "ياوس" و "آيزر" و "ايكو" ثم انتقلت إلى الآراء النقدية التي جاءت في الكتاب.

وقد اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي الوصفي الذي رأيت أنه المناسب لمثل هذه الدراسات خاصة ما تعلق منها بالجانب التطبيقي

هذا وقد واجهتني خلال بحثي العديد من الصعوبات من بينها اتساع الموضوع وتعدد النظريات التي عاجلت السياق وتربطها و تشعبها فالحديث عن اتجاه يقتضي بالضرورة الإشارة إلى اتجاهات جاءت

قبله وساعدت على ظهوره و تطوره، إضافة إلى تعدد الطبقات واختلاف الترجمات ،ولأن لكل شيء إذا ما تم نقصان، أود أن أشير إلى أن هناك العديد من المسائل المتعلقة بدلالة السياق في حاجة ماسة إلى دراسات أكثر عمق و إلى بحوث مستقلة تجمع بين النظرية والتطبيق مثل المشترك اللفظي في الدراسات العربية ودور السياق في الحد من تعدد المعاني للفظ الواحد وحصر الدلالة.

وفي الأخير أدين بالشكر للأستاذ وهاب خالد الذي أضاء لي جوانب البحث، ولم يخل على بتوجيهاته وملاحظاته القيمة والذي تابع بحثي بكل اهتمام وجدية منذ البداية.

مَجْلَد

إن للأدب خصوصياته منها ما يرتبط بنياته الداخلية ومنها ما يرتبط بشروط إنتاجه وتلقيه وعلاقته بالزمان والمكان ومن هنا يحضر السياق كأداة إجرائية يمكنها أن توسع من دائرة فهم النص الأدبي وتأويله وإخراجه إلى أفق أوسع مما يضمن التواصل معه وتحديد المعنى وفهم الملفوظات يقول قادر كريمة الزنكي في كتابه "نظرية السياق" "يأتي إعمال السياق لمعرفة معنى الكلام لأن سلوك اللغة سلوك اقتصادي يوظف القليل من الرسائل للوصول إلى الكثير من الغايات، وذلك أن المباني اللغوية محددة متناهية والمعاني غير محددة، مفتوحة لتوسع المعاني بتوسيع الوظائف لهذه الأبنية اللغوية عن طريق القرائن السياقية. الدور السياقي لا يقتصر على ضرورة وضع اللفظ حيث يكون ملائماً لما بعده وما قبله، أو ضرورة العمد إلى تركيب معان على النحو تركيباً يحقق المعنى في إطار السمات الفنية التي تحقق جوهر الأدب عامة، والشعر خاصة، فلا يقتصر السياق على ذلك بل يكون له دور آخر في التأليف من حيث المجاز وذلك باعتباره مجموعة الظروف المحيطة بالنص وباعتباره الإطار العام الذي أسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام والفهم بين طرفي الخطاب وذلك لأن السياق يجمع مكوناتاً تليق بمقوماته مجرد حالة لفظ وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ وفضلاً عن ذلك لا تضل المواقف متماثلة في الزمان، وإنما تتغير ولهذا فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث، وقد يكون اتجاه الأحداث هذا دالاً على حالة ابتدائية وأحوالاً وسطى وحالة نهائية ومعرفة نهاية السياقات يستوجب معرفة "لأولها" فإن تحليل النصوص يتطلب مقارنة متعددة الأبعاد تفرض الربط بين مختلف المستويات، لأن المقصود ليس هو فقط فهم النص وتحليله لذاته، وإنما قبل كل شيء يأتي فهم وتحليل مختلف وظائف النص في هذه السياقات كما أنه في كثير من الأحيان يجد المرء نفسه أمام خطاب بسيط للغاية من حيث لغته لكنه قد يتضمن قرائن تجعله غير مفهوم وهنا تبرز أهمية السياق ودوره في توصيل الخطاب وتحقيق انسجامه.

-أهمية السياق:

يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة، المقصودة من الكلمة في جملتها ومنذ القديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه لمقال مخصص يتلاءم معه، و قالوا عبارتهم "لكل مقام مقال" فالسياق "متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة مثلاً" ولذلك ركز علماء البلاغ على اللغة المنطوقة، فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم وأرادته

1- قادر كريمة الزنكي: نظرية السياق -دراسة أصولية- دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 2006، ص 88.

2- فان ديك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر عبد القادر قبني إفريقيا الشرق، ط 1، ص 258.

3- محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة-مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي - د د القاهرة ط 1، 1983، ص 98.

من معنى والمخاطب وما فهمه من الرسالة، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي. كما أشار الباحثون إلى أهمية السياق في التفريق بين معاني المشترك اللفظي، وأن التحديد الدقيق لدلالة هذه الألفاظ إنما يرجع إلى السياق وقد تعرض سيبويه إلى هذه القضية في أول الكتاب تحت عنوان "هذا باب اللفظ للمعاني" حيث يقول: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"1، وقد أعطى لكل وجه منها مثال "فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف كقولك: وجدت عليه من الموحدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة وأشبه هذا كثيرة"2.

وهنا نجد سيبويه يوضح ظاهرة لمختلف والمترادف والمشارك اللفظي، مما لا يدع مجالاً للشك بين اللغويين العرب حول وجود هذه الظواهر في اللغة العربية كما تدل هذه الإشارة المبكرة في أول كتاب نحو يصلنا على مدى الاهتمام بموضوعات علم الدلالة التي دارت حولها البحوث والنقاشات.

وهنا نصل إلى أن تعدد معنى الكلمة يعني تعدد احتمالات القصد منها، وتعدد احتمالات القصد منها يقود إلى تعدد المعنى، ويقوم السياق بوضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللغوي لتحديد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددت معانيها ويصرف ما يدعى التباس أو إبهام أو غموض في الدلالة بسبب هذه الظواهر. وحول تحديد السياق لدلالة هذه الظواهر يقول فيندريس: "الذي يعين قيمة الكلمة في كل حالات التي ناقشناها إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناه تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدل عليها"3.

كما تتركز أهمية سياق الحال أو المقام في الدرس الدلالي في فوائد منها، الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة

1- سيبويه: الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1983، ص 24.

2- المرجع نفسه: ص 2.

3- فيندريس: اللغة، تر عبد الحميد الروخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية مطبعة لجنة البيان العربي، د ط 1، 1950، ص 231.

الكلمات، وإفادة التخصيص، دفع توهم الحصر، ورد المفهوم الخاطئ وغيرها.

وبالإضافة إلى ما تقدم السياق يساعد على تعيين دلالة الصيغة، فرمما جاءت بعض الأبنية متحدة الوزن لكنها تختلف في دلالتها على المعنى المراد والذي يحدد هذه الدلالة إنما هو سياق الكلام، فمن ذلك: أن أسماء الزمان والمكان تصاغ من الثلاثي على وزن "مفعّل" بفتح العين على نحو (مذهب، مشرب، مخرج، مقتل، ومكتب) إلا في حالتين، فإنهما يكونان فيهما على وزن (مفعّل) بكسر العين، وفي كل ما تقدم لا نستطيع التفرقة بين الزمان والمكان إلا بالسياق وهو الذي يحدد المراد ويعين المقصود. ومن ذلك النسب إلى ما آخره ياء مشددة، نحو كرسي، وزنجي، وشافعي، ففي هذه الحالة يتحد لفظ المنسوب وغير المنسوب، والذي يفرق بينهما إنما هو السياق.

أما على مستوى التراكيب فقد أشار محمد حماسة إلى أهمية السياق في الوصول إلى المعنى (النحوي الدلالي) فقال: "ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاته ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم".¹

كما أشار إلى التفاعل بين العناصر النحوية والدلالية، فكما يمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة يمد العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، فبين الجانبين اخذ عطاء وتبادل وتأثير مستمر، فلا يمكن بأي حال إنكار تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير و لا ننكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفردتها نفسها إذا قيلت بنصها في موقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها.

1- محمد حماسة عبد اللطيف: النحو الدلالي، ص 98.

-أركان السياق:

1-الخطاب: وهو النص اللغوي و الغير اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في تواصل الغرض البلاغي، وهذا الخطاب يرتبط في داخله ترابطا تعالقا وعضويا، كما يرتبط بالواقع الخارجي من حيث المطابقة وعدمها، كما يرتبط بالمخاطبين من جهة كيفية إنتاجه وكيفية تلقيه. 1 وهذا التفاهم الذي يحدثه الخطاب بين المتخاطبين لا يتأتى إلا بالقيمة الحضورية التي تكتسبها كلمة عند استعمالها، داخل الخطاب، أو داخل الموقف التخاطبي، وهذا ما يذهب إليه فيندريس حين يقول:"تزود كل كلمة لحظة استعمالها تزويدا تاما بقيمة وقتية تبعد جميع القيم الناتجة عن الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها الكلمة." 2

2-مصدر الخطاب:

فالمخاطب يشرع في الحديث عندما هناك مثير يحفز به إلى الكلام، كأن ترد إلى ذهنه فكرة أو يستمع إلى سؤال يدعو إلى الإجابة، فيلجأ إلى اللغة باعتبارها علامات متواضعا عليها من قبل المجتمع تحقق له رغبته في توصيل كلامه إلى الآخرين، فيختار وحدات معجمية مراعيها في ذلك القواعد الصرفية، والنحوية التي تسمح بها اللغة ويضع مقولاته وفقا للقوالب المتاحة، لتوصيل فكرته، أو توضيح مقصده. 3

3-متلقي الخطاب:

يقوم المخاطب (المتلقي) بتفكيك ما ركبه المخاطب (منتج الخطاب)، فهو يتعامل مع الخطاب بطريقته الخاصة في الفهم، مستعينا بثقافته، وتجاربه وأحواله، فهو يقوم بتشكيل الخطاب من جديد.... وهذا التشكيل يختلف من متلقي إلى آخر، وفق قواعد التأويل، والفهم والتفسير. 4

1-محمد محمد يونس: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص159.

2-فيندريس: اللغة، ص252.

3-محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، ص152.

4- المرجع نفسه: ص155

وتتبن مراعاة حال السامع في عدة جوانب منها ما نجده في القرآن من ضرب الأمثال. وهذا ما قال به صاحب البرهان: "ومن حكمته (أي ضرب المثل) تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان، وحاصلة قياس المعنى بشيء من عرف ذلك المقيس، فحقه الاستغناء عن شبيهه، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة؟ والجواب أن الحكم والأمثال تصور المعاني تصور الأشخاص، فان تصور الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس، بخلاف المعاني المعقولة، فإنها مجردة من الحس، ولذلك دقت، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما لدى السامع."¹

ومنها ما يكون بالحذف والإضمار اعتمادا على فهم السامع على فهم السامع. وهو ما قال عنه الزركشي: "يضمّر ثقة بفهم السامع كإضمار الأرض في قوله تعالى: {وَلَوْ يَخَذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ لَعَلَى ظَهَرِهَا مِنْ حَآبَةٍ}. الآية 45. سورة فاطر، وقوله أيضا: {لِئَلَّ مِنْ لَعَلِّهَا فَانَ}. الآية 26، سورة الرحمن. 2

4-المساق:

وهو مجموع الملابسات والأحوال والظروف التي تتكاثر جميعا في التأثير على دلالة الخطاب، ومن جملتها الإشارات والإيماءات التي يستعين بها المتكلم لإيضاح فكرته وإبلاغها إلى السامع، كما تتداخل عوامل أخرى منها ما يتعلق بشخصيات المتخاطبين وحياتهم الخاصة، وتاريخهم الاجتماعي، والعلاقة بينهم، ومن هذه العلاقات ما هو وليد الموقف بحكم ظروف الزمان والمكان التي يقع فيها الخطاب.³

5-ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه:

وهذا الركن يظم ثلاث أمور هي :

1- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الجيل ، بيروت ، د ط ، 1987، ج1، ص487-488.

2- الزركشي : البرهان في علوم القرآن، ج4، ص27.

3- بتصرف محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، ص160.

❖ المفردات:

ومن هذا ما قاله ابن جني في بابه "في امساس الألفاظ أشباه المعاني": اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل، وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته، قال الخليل كأثم توهوا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا صر، وتوهوا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النقران والغليان والغثيان، فقالوا بتولي حركات المثال توالي حركات الأفعال.¹

❖ هيئة الكلمة:

معرفة تصريفها واشتقاقها، حيث إن المعاني تختلف باختلاف ذلك، لأن التصريف هو تغيير يطرأ على الحروف الأصلية للكلمة بزيادة أو نقصان أو إبدال للوصول إلى المعنى المطلوب منها. النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقتها ببعض، وهو ما أكدده الزركشي حين قال: "إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها."²

وغير بعيد عن هذه الأركان، يرى "هايمز" أن للسياق دور مزدوج إذ يحصر مجال التأويلات.... ويدعم التأويل المقصود.³ ومن هنا حدد خصائص السياق والتي تتمثل فيما يلي:

❖ المرسل: هو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

❖ المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

❖ الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون، يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

❖ الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

المقام: وهو مكان وزمان الحدث الكلامي (التواصلي)، وكذا العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر

1- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: الاتفاق في علوم القرآن، تح مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق ط 1995، ج 1، ص 93.

2- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 173.

3- محمد خطايي: لسانيات النص-مدخل إلى انسجام الخطاب-المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص 52.

إلى الإشارات الإيماءات وتغيرات الوجه.

- ❖ القناة: كيف يتم التواصل بين المشتركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة.
- ❖ النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- ❖ شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظة، خرافة...
- ❖ المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف.
- ❖ الغرض: أي ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلية.¹

وهذه الخصائص العشر للسياق يذكرني بعضها بمخطط الاتصال عند جاكبسون، حيث يحتوي على المرسل والمتلقي وهما طرفان في أي مخطط اتصال، كما أن هناك تشابها في القناة والنظام عند هايمز، أو القناة أو الرموز المشتركة عند جاكبسون كما يلتقي بما جرده فيرث في تحليل سياق الموقف، في الحضور والمقام والغرض حيث كان يتكلم فيرث عن صفات المشاركين في الحدث ممن لهم صلة بالحدث اللغوي، والأشياء الخارجية التي لها صلة بالحدث، أو الأثر الذي يتركه الحدث. بمعنى أن هذه الخصائص التي ذكرها هايمز هي جملة أركان الحدث الكلامي، وعلاقته الخارجية (المقام) مع إضافة يسيرة تتمثل في الاهتمام بالموضوع والشكل الذي لم تغفله الدراسات اللغوية، لكن اهتمام علم اللغة النصي بهما كان أكبر مما أدى إلى مفاهيم جديدة حول الموضوع والشكل مثل علم النص وأنواع النص.

و يجدر الإشارة إلى تصنيف آخر لخصائص السياق قام به "ليفش" انطلاقا من أغراض مختلفة عما كان يهدف إليه هايمز من السياق، وذلك أن غرض "ليفش" كما يقول محمد خطابي: "هو معرفة صدق أو كذب جملة ما." ² وخصائص السياق عند ليفش هي:

- 1- المتكلم: اعتبار الجمل التي تتضمن إحالة إلى ضمير (أنا...نحن).
- 2- الحضور: اعتبار الجمل التي تتضمن ضمائر المخاطب، أنت، أنتم.
- 3- الشيء المشار إليه: اعتبار الجمل التي تتضمن عناصر مثل (هؤلاء).

1- محمد خطابي: لسانيات النص-مدخل إلى انسجام الخطاب-المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، ط.1، 1991، ص52.

2-المرجع نفسه:ص53.

4-الخطاب السابق: اعتبار الجمل التي تتضمن عناصر مثل (هذا الأخير المشار إليه سابقا).

5-التخصيص: سلسلة أشياء لا متناهية(مجموعات أشياء -متتاليات أشياء....)"¹

ومما سبق أرى أن محمد خطابي كان يجعل السياق (المقام) واحد من مبادئ انسجام النص، وهو مبدأ لا يقوم إلا بما في النص مما يحيل إلى خارجه في عملية الاتصال من علاقات لغوية للزمان والمكان والمتكلم والحضور والإشارة إلى الأشياء، والإحالة إلى الخطاب السابق.

هذا كما ذهب بعض الباحثين إلى أن السياق يقتضي ثلاث عناصر على النحو التالي:

"أ-عنصر ذاتي: يشمل معتقدات المتكلم، ومقاصده واهتماماته، ورغباته.

ب-عنصر موضوعي: أي الظروف الزمنية، والمكانية وهي تلك الوقائع الخارجية التي يتم فيها القول. "²

"ج-عنصر ذاواقي: وهو المعرفة المشتركة بين المخاطبين وتشمل المعرفة الاجتماعية والثقافية والتراثية، وغير ذلك، وهذه المعرفة قد تكتسب قبل التخاطب أو أثناءه أيضا."³

K. Ammer أما ك-أمير فيرى أنه لا يمكن دراسة المعنى وتحليله تحليلًا دقيقًا إلا إذا نظرنا إلى السياقات، والمواقف الواردة المحيطة به سواء أكانت هذه السياقات لغوية، أم غير لغوية بناء على ذلك اقترح بعضهم وضع تقسيم لكل أنواع السياق المرتبطة بالكلمة، وحصرها في أربعة أنواع وهي:

أ- السياق اللغوي: Linguistic Context

هو البيئة اللغوية التي تحيط بجزئيات الكلام من مفردات وجمل وخطاب والذي يدرك من خلال التراكيب ويعرفه قادر كريم الزنكي بقوله": هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة فيكسبها ذلك معنى

1-محمد خطابي:لسانيات النص-مدخل إلى انسجام النص-ص54.

2-عبد الواحد حسن الشيخ: التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ط1، 1999، ص31.

3- المرجع نفسه:ص31.

خاصا محددًا بعد أن كان متصفا بالتعدد و العموم و الاحتمال على المستوى المعجمي فيتحدد المعنى داخل السياق، وتكون له سمته الخاصة غير قابل للتعدد والاشتراك والتعميم.¹

هذا كما حدد عبد القادر عبد الجليل عناصر السياق اللغوي وهي:

- ✓ التركيب الصوتي: وهو السياق الفونيمي الذي يشكل الكلمة.
- ✓ التركيب الصرفي: يتمثل في تركيب الصيغة الصرفية واختلافها عن الصيغ الصرفية الأخرى حيث يتيح وهذا الاختلاف اختلاف دلالاتها.
- ✓ التركيب النحوي: ويمكن النظر إلى دلالاته من حيث:
- ❖ دلالات نحوية عامة: وهي المعاني العامة المستفادة من الجمل والأساليب مثل دلالات الجملة على الخبر، النفي، التأكيد، الاستفهام، النهي، الأمر.
- ❖ دلالات نحوية خاصة: كدلالة تركيب الجملة على معان نحوية مثل الفاعلية و المفعولية الحالية والابتداء والتمييز.
- ❖ معاني تركيب النحو: فكل تركيب معنى نظمي يختلف عن التراكيب الأخرى وقد بين ارتباط المعاني بمعاني النحو.

✓ النظام المعجمي: وهو يتمثل في مفردات المعجم وطبيعة نظام حقوله الدلالية.

✓ المصاحبة: وتمثل فيما يصاحب الكلمة من كلمات تؤثر في معناها وتحدده

✓ الأسلوب: ويتمثل في الأسلوب البلاغي الذي ألف فيه الخطاب.²

ب - السياق العاطفي: Emotional Context

وهو شحن الكلمات بشحنات عاطفية تعبر عن انفعالات المتحدث "وهو الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني ويحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالاتها الموضوعية ودلالاتها العاطفية... فالسياق العاطفي يحدد درجة الانفعال قوة وضعفا إذ يختار المتكلم الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية إذا

1-قادر كرم الزنكي: نظرية السياق -دراسة أصولية-، ص82.

2-عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة-نظم التحكم وقواعد البيانات-دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2002، ص542.

تحدث عن أمر فيه شدة وانفعال.1 فكلمة يكره لا تدل على ما تعنيه كلمة ييغض، مع أنهما يدلان على أصل واحد من المعنى، فرغم اشتراكهما في أصل المعنى، إلا أن دلالتها تختلف.

ج- سياق الموقف: Situational Context

"الموقف الخارجي الذي وقعت فيه الكلمة أو حصل فيه التفاهم بين شخصين أو أكثر و يشتمل ذلك زمن المحادثة ومكانها ، والعلاقة بين المتحدثين و القيم المشتركة بينهما ، والكلام السابق للمحادثة."2 وهو يشتمل على خمس عناصر وهي الكلام الفعلي؛ أي الذي دار خلال الموقف وطبيعة المتحدثين ويقصد به من هم هؤلاء المتحدثون الذين دار بينهم الحديث ومعرفة كل واحد منهم؛ هل هو مسؤول يحدث أحد موظفيه، أم أب يكلم أبنائه. و زمن الكلام، إضافة إلى طبيعة الأشياء المتحدث عنها والأفعال المصاحبة للكلام مثل الغضب أو المرح أو الرضا أو الضجر.

د- السياق الثقافي: Cultural Context

وهو المجال أو الإطار الاجتماعي أو الثقافي الذي ينتمي إليه الكلام يقول كريم الزنكي: " هو السياق الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي أو الثقافي الذي توحى به الكلمة أو الجملة في إطار حضارة معينة أو مجتمع معين أو جماعة معينة فيقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة."3

فكلمة "جذر" تختلف معانيها باختلاف المجال، أو السياق الثقافي الذي ترد فيه.

- جذر عند علماء النبات جزء غائر في الأرض.

- جذر عند علماء الرياضيات

1- قادر كريم الزنكي: نظرية السياق-دراسة أصولية-ص82-83.

2- المرجع نفسه:ص83

3- المرجع نفسه: ص83.

- جذر: تختلف عند علماء اللغة ، إذ تعني أصول الكلمة. و لكي نحدد معنى الكلمة يجب أن نحدد المجال الذي تنتمي إليه ، فكل كلمة عملية تختلف معانيها باختلاف المجالات التي وردت فيها:

-عملية عسكرية.

-عملية جراحية.

-عملية حسابية.

وإني أرى أن هذا التقسيم السابق لسياق فيه تكلف وتفتيت لا حاجة للدرس اللغوي إليه ، لأن السياق نوعان لا ينفصلان سياق لغوي ، سياق الحال ، الأول يعتمد على الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي ، وهي تشمل بقية أنواع السياق عند "ك-أمير" لأنه لا يمكن فصل الانفعالات الخاصة بالمتحدث أو المستمع ، أو فصل الظروف الاجتماعية أو المستوى الثقافي عن الموقف الكلامي ، فالمجتمع وثقافته وأحداثه ، وجميع ظروفه تشكل الشق الثاني من المعنى ، وهو المعنى الاجتماعي الذي يستفاد من خارج الكلام المنطوق.

وهو ما أكدته كريم الزنكي حين قسم السياق إلى:

"1-السياق المقالي (اللغوي أو اللساني).

2-السياق المقامي (المقالي أو الاجتماعي)".¹

أما ديوجراند R-de Beaugrand فيفرق بين مصطلحين:

1-(Context) ويتضمن الدلالات الخارجية وإنتاج النصوص واستقبالها

2-(Co-texte) ويتضمن مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات²

وهذا التفريق بين نوعين من السياق غير اللغوي وهو ما اصطلح عليهما في الإنجليزية:

1-قادر كريم الزنكي: نظرية السياق-دراسة أصولية- ص86.

2-روبيرت ديوجراند: النص والخطاب والإجراء ، تر تمام حسان ، علم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص91.

1- "Linguistic Context Verbal Context ويراد به السياق اللغوي أو سياق

النص.

1- Context of Situation The nom Linguistic Context ويراد به سياق

الموقف أو السياق الغير لغوي. "1

كما يفرق الأسلوبيين كميا بين نوعين من السياقات الأسلوبية:

"أولها: السياق الصغير (Micro Context) ويقصد به الجوار المباشر للفظ قبله أو بعده. "2

ويعني أسلوبيا بدراسة الكيفية التي تتفاعل بها الكلمات، فيبرز بعضها بعضا، ويؤثر بعضها في بعض.

والآخر: "السياق الكبير (Macro Context) ويقصد به أحيانا ما هو أكبر من الجوار المباشر للفظ

كالجملة أو الفقرة أو الخطاب ، وقد يتخذ هذا المصطلح أسلوبيا

دلالة خاصة تتمثل في جملة المعطيات التي تحضر القارئ ،وهو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي

والاجتماعي. "3 بالإضافة إلى هذا التقسيم نجد دراسة "كيث ألان Keith Allan "التي قسم من

خلالها السياق إلى ثلاثة أنواع:

-السياق الفيزيائي Physical Context: أو مسرح الكلام ،ويقصد به المكان والزمان الخاصين

بالمتكلم والمستمع (المتلقي).

- العالم المتحدث عنه في الكلام، وقد يكون هذا العالم مألوفاً لنا جميعاً، بأن يكون ترجمة للعالم

الحقيقي، أو حلماً أو إبداعاً لعالم خيالي وقد يكون مزيجاً من الحقيقة والخيال، ويختلف معنى الكلمة

1-تمام حسان: اللغة العربية معانيها ومبانيها ،دار الثقافة،دط،1994،ص337.

2-عبد السلام المسدي : الأسلوب والأسلوبية ،دار العربية للكتاب،ط3،د ت،ص175.

3- المرجع نفسه:ص175.

الواحدة باختلاف العالم المتحدث عنه في الكلام.

- البيئة النصية: Textual Contaxte، ويظهر من خلال أهمية النص في التفسير والتحليل وفهم

الكلام وتقدير المحذوف.1

هذا ويبقى السياق محتاجا إلى كثير من التعريف والدراسة وهو ما سأتناوله في الفصل الأول الخاص بمفهوم كل من النص والسياق عند العرب والغرب قبل وبعد النظرية السياقية الحديثة.

1- حسام أحمد فوج: نظرية علم النص- رويّة منهجية في بناء النص الثري- مكتبة الآداب ، القاهرة ط 1، 2006، ص23.

الفصل الأول: تجارب المفاهيم

أولاً: مفهوم النص

- 1- لغة.
- 2- النص عند العرب.
- 3- النص عند الغرب.

ثانياً: مفهوم السياق

- 1- لغة.
- 2- السياق عند العرب.
- 3- السياق عند الغرب.

يعد التعريف اللغوي لأي مصطلح من أهم المؤشرات التي يمكن أن تضيء دروب الاهتداء إلى تعريف ذلك المصطلح على المستوى الاصطلاحي، كما من شأن ذلك أن يؤصل لهذا المفهوم، ويجعلني أكون عنه فكرة عامة وشاملة، قبل الدخول في تشعباته وتعقيداته الناتجة عن تعدد الروى والمنطلقات والغايات، ولهذا ارتأيت في بحثي هذا أن أنطلق من المفهوم اللغوي لكل من النص والسياق.

أولاً: مفهوم النص.

1- لغة:

تدور مادة (ن، ص، ص)، التي يرجع إليها لفظ "النص" في المعجم اللغوي حول عدة معاني، يرجعها ابن فارس إلى "أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء".¹

أما لفظ النص في "لسان العرب" فقد قال ابن منظور: "النص: رفعك الشيء، نص الحديث بنصه نصاً رفعه، وكل ما أظهر فقد نص... ونص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصبه إليه، ونصت الظبية جيداً رفعته.

والمنصة: ما تظهر عليه العروس لترى، وقد نصها، وانتصت هي والماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة، وهي تنتص عليها لترى من بين النساء... ونصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض، وكل شيء أظهرته فقد نصصته... ونص الدابة ينصها نصاً: رفعها في السير.

وأصل النص: أقصى الشيء وغايته، ثم سمي ضرب من السير سريع... ونص الرجل نصاً إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونص كل شيء منتهاه.²

وجاء في "القاموس المحيط" للفيروزبادي: "نصاً الحديث إليه رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان ينص أنفه نصاً، وهو نصاص الأنف...، والشواء ينص نصيماً، صوت على النار، والقدر غلت...³

إذن فهو الاكتمال والمنتهى حيث يعلق "الفيروزبادي" على قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "إذا بلغ النساء

1- ابن فارس: مقاييس اللغة، تح هارون عبد السلام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1971، ج5، ص356.

2- ابن منظور: لسان العرب، مادة نص، دار صادر بيروت، ط5، 2005، م14، ص271.

3- الفيروزبادي: قاموس المحيط، مادة نص، مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 1998، ص632.

نصّ الحقائق أو الحقائق فالعصبة الأولى ".إذابلغنا الغاية التي عقلنا فيها الحقائق وهو الخصام.1 "أو حوق فيهن؛أي إذا بلغت من سنّها المبلغ الذي يصلح أن

تحقق وتحاصم عن نفسها،وهو الحقائق، فعصبتها أولى بها من أمها،ومن هنا أستنتج أنه رغم أن المعاني التي ذكرته نقلا عن المعاجم الثلاث السابقة تدور حول معان عدة أكثر من ذلك الأصل الذي ذكره ابن فارس، إلا أنه يمكن ردها إلى معنى واحد ؛ هو الظهور والارتفاع والانتفاء والوضوح ،وهو المعنى الذي انتقل به مفهوم النص إلى مجال علم الأصول؛ إذ يعني في كتب التفسير "ما لا يحتمل إلا معنى واحد، أو ما لا يحتمل التأويل.2"

2-النص عند العرب:

كان اهتمام العرب قديما بمصطلح النص قليلا ،بالمقارنة بالدراسات الغربية للنص ،حيث نجد علماء الأصول يطلقونه على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء كان ظاهرا ،أو نصا أو مفسرا وفي هذا الصدد يشير " الشافعي " في نظريته عن البيان إلى النص بقوله:" ما أتى الكتاب على البيان فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره.3" وبهذا التعريف نجد الشافعي يذهب إلى أن النص هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد كما أنهم يرون أن كل ما ورد عن صاحب الشرع فهو نصّ ،وبهذا نجد أن الدلالة كانت معيار احتكم إليه الأصوليين ،حيث ربطوها بلفظ المركب سواء أكان منطوقا أو مكتوبا، وهنا نجد حامد أبو زيد يجعل من النص جزءا من العلاقة بين المنطوق اللفظي والدلالة ويقول في ذلك:" النص هو الواضح وضوحا بحيث لا يحتمل سوى معنى واحد ،ويقابل النص المحمل الذي يتساوى فيه معنيان يصعب ترجيح أحدهما، ويكون (الظاهر) أقرب إلى النص من حيث أن الراجح فيه هو المعنى القريب...4."

كما ورد النص بمعنى التسجيل والتقيد والتدوين والتخليد، لا بالمفهوم الحديث للنص، كما يرى عبد " المالك مرتاض" أن الأصل في المدلول اللغوي للنص هو الرفع والإظهار وبلوغ الغاية من الشيء يقول في ذلك:" لم نعثر على

1- محمد الأخضر الصبحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008، ص 17.

2- علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، تح محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتب المصرية، القاهرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط، 1، 1991، ص 251،

3- الشافعي: الرسالة، تح أحمد شاکر، المكتبة العلمية، دط، دس، ص 32 .

4 نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص-دراسة في علوم القرآن-الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1990، ص 180

نصوص شعرية ونثرية موثوقة تفيد المعنى المتداول على عهدنا هذا إلا ما كان أورده "ابن منظور" من أن الفقهاء كانوا يقولون نص القرآن ونص السنة؛ أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام".¹ فكان بذلك هذا المفهوم مقصوراً على النص القرآني والحديث ، وهو ما أدى إلى الحد من دلالاته من الناحية الإجرائية عند الأصوليين منذ بدايات التأليف في هذا المجال، وأصبح مقتصرًا على العلوم الشرعية، ولم يدخل مجال الأدب، إلا في وقت متأخر؛ فهو مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر؛ وهو كغيره من مفاهيم كثيرة وفد من الغرب حيث نجد "عبد المالك مرتاض" يذهب إلى الفكرة نفسها التي طرحها "رولان بارت" حيث يعرف النص "بأنه نسج أنيق من الألفاظ الصامته، التي تحمل المعاني في ذاتها؛ فهو كتابة سحرية أو كتابة كأشياء السحر، النص هو نسيج الألفاظ بجمالية الانزياح وأناقة النسيج وعبقورية التصوير".² وهو بهذا يركز على الجوهر الداخلي للنص الأدبي والتعامل معه دون أي افتراضات سابقة من أي نوع مثل علاقته بالواقع الاجتماعي أو بالأديب وأحواله النفسية والاجتماعية، لأنهم يرون أن العمل الأدبي له وجود خاص له منطقته ونظامه؛ أي أن له بنية مستقلة هذه البنية العميقة أو التحتية والخفية؛ هي مجموعة من العلاقات الدقيقة التي تألف فيما بينها شبكة من العلاقات وهي التي تجعل من العمل الأدبي، عملاً أدبياً؛ أي هنا تكمن أهمية أدبية الأدب.

وهو ما ذهب إليه "محمد مفتاح"، الذي يقول عن النص: "إنه متتالية من الجمل بينها علاقة من العلاقات متى انعدمت هذه العلاقة، لا يبقى هناك نص".³

كما يشترط لنصية النص خاصيتين أساسيتين هما:

التنضيد؛ أي التركيب، وهذه العملية تتم على مستوى الشكل؛ أي العلاقات بين الكلمات. الاتساق؛ وهو الخيط المعنوي الذي يربط بين الكلمات، وهو ما يتعلق بمستوى الدلالة. "ويربط" محمد مفتاح "خاصيتي النظم والانسجام بنظرية اللغة عند" جون أوستن "J-L-Austin عندما يتكلم عن الأفعال الكلامية؛ أي أن النص يعتبر

حدثاً كلامياً، والحدث في المفهوم الأرسطي غير قابل للتكرار وإعادة الإنتاج".⁴

1- حسن خمري: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سميائية الدال - الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص44..

2- عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2007، ص47

3- حسن خمري : نظرية النص - من بنية المعنى إلى سميائية الدال - ، ص48

4- المرجع نفسه: ص49

وقد أكد " سعيد حسن بحيري" ما قاله "محمد مفتاح" و"جون أستن" حين اعتبر النص وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، "وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى، تربط بينها علاقات نحوية، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية."1

كما اعترف بأن وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي، وذلك الاختلاف المدارس اللغوية التي ينتمي إليها علماء اللغة، واختلاف حدود المصطلحات التي تركز عليها، أما "الأزهر الزناد" فيقول: "النص يطلق على ما به يظهر المعنى؛ أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي منه، عندما يترجم إلى المكتوب، وهذا الشكل الصوتي يمثل آخر طور يبلغه الكلام في تولده (البنية السطحية)."2

وهو بذلك "يعتبر النص إنتاج مباشر لعملية الكلام، ويتشكل في جملة من الدوال والمدلولات؛ أو هو رسالة ناجمة عن نظام محدد من المفاهيم والشفرات، وأهو وحدة لغوية مستقلة."3
وبالعودة إلى "محمد مفتاح" نجده قد عرف النص من ثلاث منطلقات:

أولها: تجاوز ثنائية الحقيقة والاحتمال، من خلال ذلك ينبغي تجنب الرؤية التقليدية للنص باعتبار أحادية معناه، وشفافيته وحقيقته، وصدقه فيكون النص كل ما دل على الحقيقة وعلى الاحتمال، وعلى الممكن.

المنطلق الثاني: تدرج المفهوم حيث النص يطلق في الحقيقة على المكتوب المتحقق في الكتابة، علاقات متواشجة بين المكونات المعجمية والنحوية والدلالية والتداولية في زمان ومكان معينين، والمكتوب الذي لا يتحقق فيه تلك العلاقات ليس نصاً، ويسمى اللانص، فإذا كان المكتوب مزيجاً مما تحققت فيه تلك العلاقات مع بياض، وعلامات سمائية أخرى كالرسومات والأشكال، فسمي التشبيه بالنص النصنص (وهو الأحلام والثقافة) لأنه صار نصاً معقداً يقابله ما يسمى اللوحات التشكيلية والأيقونات المختلفة ويعتمد المنطلق الثالث على تدرج المعنى، وينبغي أن يؤخذ كذلك في الحسبان حجم النص، ونوعه، واختلاف درجة دلالة الجمل في النص نفسه."4

1- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات - مؤسسة المختار لنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص108

2- الأزهر الزناد: نسيج النص - بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً - المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص12.

3- سعد حسن بحيري: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات - ص105.

4- محمد مفتاح: مسألة مفهوم النص، منشورات كلية الآداب والعلوم، جامعة محمد الخامس، جدة، دط، 1997، ص27،

ويعتمد "محمد مفتاح" في تقسيماته على تقسيمات القدماء في دراسة الدلالة من المحكم إلى المتشابه، كما يعد هذا التعريف مقتصرًا على المكتوب فقط.

أما طه عبد الرحمان فالنص عنده "كل بناء يترتب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات".¹

كما حد محمد عزام النص بمجموعة من التعريفات نذكر منها:

"1- النص مدونة كلامية.

2- النص حدث يقع في زمان ومكان معينين.

3- النص يهدف إلى توصيل معلومات، ومعارف، ونقل تجارب إلى المتلقي.

4- النص مغلق توالدي: مغلق بفعل انغلاق سمة الكتابة الأيقونية التي لها بداية ونهاية، وتوالدي لأن الحدث اللغوي ليس منبثقًا من عدم، وإنما هو متوالد من أحداث تاريخية ولغوية، ونفسانية، حيث تتناسل منه أحداث لغوية وأخرى لاحقة له".²

أما "عبد الله الغدامي" فيعتبر النص كيان عملت السياقية على تغييره، عن وعي أو عن غير وعي بدلالته العائمة وهو لا يشكل حسبه إلا "من خلال حضوره كدال باعتبار حضور المدلول فيه عائد إلى إمكانية قرائية غيايية مؤسسة من القارئ بناء على أعراف الجنس الأدبي وسياقات دلالاته الكبرى؛ وهي دلالات النص الصريحة وتعاقد كإمكانية ضمنية يحيل بها النص، وهي في رحمه لا يمل من حملها".³

على خلاف "حسين الواد" الذي ينطلق من المفهوم الأدبي وهو بذلك متأثر بـ ميشيل ريفاتير حيث ينطلق من النص الذي هو في نظره صرح مكتمل يجتنب سمة الفردية فيه، وهذه السمة الفردية هي الأسلوب وهي بالتالي أدبية النص. يقول "حسن الواد": النص الأدبي في أبسط مظاهره، كلام ولأنه كذلك وجدت علوم اللسان إليه سبيلا والنص إبداع فردي، ولأنه كذلك، وجدت العلوم المهمة بالأفراد طريقها إليه، والنص الأدبي ينتجه فرد منغرس في

1- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار، وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 35.

2- محمد عزام: النص الغائب: تجليات التناسل في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2001، ص16،

3- عبد الله الغدامي: تشريح النص، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987، ص37.

الجماعة، ويتجه به إلى جموع القراء، لذلك تناوله علم الاجتماع بالدرس وهكذا إلى آخر العلوم الإنسانية.¹ وهنا نجد أنه لا يركز على النص فحسب بل ينتقل إلى الدور الذي يلعبه جموع القراء، وردود أفعالهم إزاء النص، وهو ما عبر عنه ريفاتير بسلطة النص وسلطة القارئ.

أما "سعيد يقطين" فينظر إلى النص باعتباره بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة. وهو بهذا يحيلنا إلى فكرة تفسير الأدب والحدث الأدبي عن طريق المجتمعات التي تنتجها وتلقاها وتستهلكها، وبهذا نجد النص عنده مكون من عناصر ثلاث هي:

1- البناء النصي (النص بنية دلالية تنتجها الذات) .

2- التفاعل النصي (ضمن بنية نصية منتجة) .

3- البناء السيسونصي (في إطار بنيات ثقافية معينة).²

وماتوصلت إليه في الأخير أن تعريفات النص عند العرب المحدثين تنوعت بتنوع التخصصات العلمية وبتنوع الاتجاهات والمدارس المختلفة، ولكن يبقى التنظير للنص الأدبي في النقد العربي المعاصر بركراً، إذا استثنينا مقدمات لكتب، ومقالات متفرقة، في المجالات العربية وهو ما أكدته "نحلة فيصل الأحمر" حين قالت: "إن مفهوم النص الذي تشغل عليه الدراسات العربية الحالية، مفهوم أجنبي لمصطلح عرب خطأ، ولم يجد ما يطابقه في اللغة العربية... إن المصطلح الذي نستخلصه يحيل إلى مفهوم غربي".³

3- النص عند الغرب:

تتعدد التعريفات التي تشرح مفهوم النص "Texte" بصفة عامة، وأخرى تبرز الخواص النوعية له، وهذا التنوع في التعريفات يدل على عدم استقرار المفهوم من جهة وتباين طرقه الإجرائية في الحقول المعرفية المختلفة من جهة أخرى، وهذا مادفعني إلى بناء مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث اللسانية والبنوية والسيمولوجية الحديثة، قصد رسم معالم علم جديد يمكنه احتواء التداخل المعرفي بين هذه الاتجاهات المختلفة التي لا يمكن أن تتطابق، حيث نجد كل اتجاه يفهمه وفقاً لمرجعياته المعرفية التي ينطلق منها، ويمكن تقسيم هذه التعريفات لمنطلقات أصحابها إلى:

1- حسين الواد: في مناهج الدراسة الأدبية، دار سراس، تونس، دط، 1985، ص 35.

2- سعيد يقطين: النص والنص المترابط، المركز الثقافي العربي، المغرب، دط 2005، ص 35.

- نخلة فيصل الأحمر: التفاعل النصي - التناصية: النظرية والمنهج - مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض، ع 102، يوليو 2000، ص 36-37 .

3-1- تعريفات لسانيات النص وتحليل الخطاب:

يوجد الكثير ممن يؤكدون على غياب شبه تام لمصطلح النص في التراث اللساني الغربي قبل دوسوسير حيث كانت السيادة للتاريخ والمؤلف وبخاصة عند مجموعة اللسانيين مثل وليم وايتني ومع دارسي الأدب مثل "هيوليت تين" و"برونير"، لأن الاهتمامات لم تكن مركزة على الدراسات النصية بالقدر الذي كانت مركزة فيه على الدراسات التاريخية والتطورية التي هيمنت على البحث العلمي برمته، "ومع بداية اللسانيات النصية في أواخر عقد الستينات من القرن العشرين، كثف رواد هذا العلم جهودهم، لبيان القصور الذي منيت به الدراسات اللسانية التي كانت ترى الجملة أكبر وحدة لغوية، ثم انتقلوا بعد ذلك - على اختلاف منطلقاتهم وغاياتهم وإجراءاتهم- إلى ربط الجملة بالدلالة النصية، فاختلفت مصطلحاتهم وتعريفاتهم للنص".¹

حيث نجد هارتمان "P-Hartmann" الذي حد النص بأنه، "متتالية من الكلمات تكون ملفوظا منجزا"². وهو في تعريفه هذا يغفل الناحية الدلالية للنص؛ ويركز على بنيته السطحية، وفي هذا الصدد يجدر الإشارة إلى مسألة إخراج النص من دائرة النظام اللغوي (الصوت، الكلمة، الجملة). بينما يعرف "جانوس-س بيتوفي" János -s-Petôfi النص فيخرجه عن النظام اللغوي، قاصرا إياه على مجال الاستخدام اللغوي الفعلي فالنص عنده؛ "هو موضوع رمزي علائقي تغلب عليه السمة الكلامية، ذو شكل مكتوب يدويا، أو مطبوع في شكل أو هيئة مادية... وعلى الرغم من أن الأشكال المادية المكتوبة يدويا أو المطبوعة؛ هي المواضيع الرئيسية في عملية معالجة النص، إلا أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار الشكل السمعي المحتمل أيضا، وتحقيق النصوص معيار النصية إذا تم احترام التوقعات الآتية: يعبر الموضوع في حالة مخاطبيه معطاة، أو مفترضة، عن شكل متصل (تام) لحالة من الحالات ويحقق وظيفة مخاطبيه معطاة أو مفترضة، وله تركيب كلامي متصل وكامل، حيث يمكن الاتصال والكمالية في التراكيب أن يعتمد على نموذج الموضوع المعطى".³ وهو تعريف يهتم بمسألة التواصل مع إهماله لمعايير نصية أخرى تتعلق بشكل المادي للنص.

1- عثمان أبو زيد: نحو النص - إطار نظري ودراسة تطبيقية - عالم الكتب الحديث، ط 1، 2010، ص 13.

2- محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، كلية الآداب بمنبوا، تونس، المؤسسة العربية لتوزيع. ط 1، 2000، ص 83.

3- جانوس بيتوفي كولنج: النص ضمن الموسوعة اللغوية - اللغة وسيلة مكتوبة - ترمحي الدين حميدي، عبد الله الحمدان، جامعة الملك سعود، الرياض، دط، 2000، م 1، ص 209.

أما "رقية حسن" و "هاليداي" فيعرفان النص ، في كتابهما "الانسجام في الإنجليزية cohesionin English "بقولهما: "إن كلمة نص texte تستخدم في علم اللغوية لتشير الى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة، مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة".¹ ويقول "سعيد يقطين" شارحا تعريف "هاليداي" و "رقية حسن" لنص "وبذلك فهو (أي النص) ليس وحدة نحوية مثل الجملة مثلا، أو شبه الجملة، كما أن معيار الكم ليس ضرورياً... إذ قد يكون كلمة أو جملة أو عملاً أدبياً، وبتعبير أعمق وأوضح، النص "وحدة دلالية" وهذه الوحدة ليست وحدة شكل، بل وحدة معنى".²

وفي ضوء التطورات التي حدثت في طرق البحث النصي التي حولت علماء النص من التعامل مع الجملة على أنها بنية مستقلة وعرفوه بأنه "وحدة كلية مترابطة الأجزاء أو بنية معقدة متشابكة مكثفة بذاتها دلالياً".³ كما أشار "حسام أحمد فرج" في كتابه "نظرية علم النص" إلى أن "دي بوجراند" في كتابه "النص والخطاب والإجراء" قد قدم مفهوماً لنص يعد الأكثر شمولاً ونضجاً لما قدم فيه من أسس موضوعية في رؤية النصوص... جمع بين الجوانب اللغوية والجوانب البراغماتية، من خلال وضع سبعة معايير للنصية هي:⁴

1- السبك cohesion: وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط لرصفي. ووسائل السبك تشمل المركبات والتراكيب والجمل وعلى أمور أخرى مثل التكرار، والألفاظ الكنائية، والأدوات، والإحالة المشتركة.

2- الالتحام coherenc: وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط لمفهومي واسترجاعه، وتشمل وسائل الالتحام على:

أ- العناصر المنطقية: كالسببية والعموم والخصوص.

ب- معلومات عن تنظيم الأحداث، والأعمال، والموضوعات، والمواقف.

ج- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية.

1- عفيفي أحمد: نحو النص - اتجاه جديد في الدرس النحوي - مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دط، 2001، ص 22.

2- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي - النص والسياق - الدار البيضاء، المغرب، ط، 3. 2006، ص 17.

3- سعيد حسن بحيري: اتجاهات لغوية معاصرة. ص 140.

4- حسام أحمد فرج: نظرية علم النص - رؤية منهجية في بناء النص النثري - مكتبة الآداب، القاهرة، ط، 1. 2006، ص 17.

ويدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعلم.

3-القصديةIntentionality: وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، وهناك مدى متغير للتغاضي (الترخيص) في مجال القصد، حيث يظل القصد قائماً من الناحية العلمية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم تأدية التخطيط إلى الغايات المرجوة، وهذا التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام يتوسط بين المرتكزات اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف.

4المقبوليةAcceptability: وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام، وللقبول مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج.

5-الموافقيةSituationality: وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره، وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما يوجد وساطة جوهريّة كما في قراءة نص قلم ذي طبيعة أدبية يدور حول رموز تنتمي إلى عالم آخر، إن مدى رعاية الموقف يشير دائماً إلى دور طرفي الاتصال على الأقل .

6-الاعلاميةInformativity: وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصي ، أو الوقائع في عالم نصي ... ، والإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل ، وعند الاختيار الفعلي لبدائل من خارج الاحتمال ، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع .

7-التناسقIntertextuality: وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أو بغير وساطة ، فالجواب في المحادثة، أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة يمثلان تكامل النصوص بلا واسطة ، وتقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى النصوص في أزمنة قديمة 1.

1- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1998، ص103-104.

ويرى دييو جراند ان هذه المعايير السبعة منها "معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص (السبك والالتحام) واثنان نفسيان بصورة واضحة (الموافقية والتناسل)، أما المعيار الأخير (الإعلامية) فهو بحسب التقدير"¹

وقد جعل هذه المعايير محطات يمر عليه الباحث كي يتأكد من النصية، ولم يشترط تحقيقها جميعا في نص ما حتى يكون النص نصاً، وإنما يمثل بعضها مقتضيات تكميلية ليكون النص صيغة لغوية منجزة تامة الإنجاز من تعيين للهدف والفائدة، والحلول في السياق لمقامي.²

كماحد "دي بوجراند" و"دسلر" النص ك "حدث تبليغي يستجيب لمعايير مترابطة"³

ويعد ماوصل إليه هاذين الناقلين تطورا لمفهوم السياق الذي جاءت به "جوليا كرسيفا" حيث يشير ان إلى أن النص حدث تواصل يوجب أن يتوفر على سبعة عناصر.

كما نظرت اللسانيات إلى النص على أنه ذلك الأدم المسطح، الذي لا ينبغي أن يتعدى حدود العلامة خلال قراءته، إذ أن النص ليس مجموعة من الملفوظات النحوية ولا نحوية، إنه كل ما يصاغ للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقاته الدلالية الحاضرة، داخل اللسان، والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية، وهذا يعني أنه ممارسة

مركبة، يلزم الإمساك بحروفها عبر نظرية للفعل الدال الخصوصي الذي يمارس لعبة داخلها بواسطة اللسان.⁴

وفي هذا الصدد يقول "صلاح فضل": عندما نتحدث عن النص فإننا نحيل على أفاق خاص له حدود معينة وتتجلى في هذا الفضاء مجموعة من الدلالات التي يسمح بها النص وهي دلالات يتعين على القراءات النقدية لتحديد مكوناتها، وكشفها وتفسيرها بمنظور أسلوبى أو بنيوي أو سيميولوجي حيث تمثل شبكة من التقنيات الفنية المحددة بالاستعارات والرموز وأشكال التكرار والتوازي والإيقاع والتصوير، والشفرات السردية، مما يتميز به النص الأدبي عن النصوص اللغوية الأخرى، ويدعو قارئه إلى أن يتبين فيه دلالات مفتوحة، غير أحادية منسجمة مع شكل الخطاب، ومرتبطة في الآن ذاته مع طبيعة الشعرية⁵

1 - روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص106.

2- محمد الشاوش أصول تحليل الخطاب، ص106.

3- دومينيك مانغو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحيى الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص127

4- جوليا كرسيفا: علم النص، تر فريد الزاهري، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1991، ص14.

5- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص191.

ومن هنا أعتقد أن أشمل تعريف يلخص جهود اللسانيات النصية ماجاء به العمري في كتابه نظرية النص حيث يقسم تعريفات النص إلى تعريفات تغلب المضمون والجانب الدلالي وتزهّد في الجانب السياغي، وتنقسم هذه التعريفات إلى قسمين:

- أ- قسم يعرف النص بأنه متتالية من الأقوال وليس من الجمل، باعتبار أن الجملة وحدة نظامية من حادات اللغة، أما القول فهو استعمال لها ولا وجود للنص قبل أن ينجزه المتكلم .
- ب- قسم يعرف النص على أنه متتالية من القضايا ؛ ويقتصر على محتواه القضوي المستفاد من الأقوال ومقتضاياتها ومستلزماتها التي يمكن استخلاصها من المعرفة اللغوية والعوالم الممكنة.¹

3-2-تعريفات البنيوية:

يرى أصحاب هذا المنهج بأن النص منغلق ومكتفي بذاته، حيث يفصلونه عن كاتبه، وعن جل السياقات التي نشأ فيها سواء تعلق الأمر بسياقاته التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية، ومن بين هؤلاء "رولان بارث" الذي يرى أن أهم خاصية للنص هي الكتابة، حيث يقول: "النص نسج كلمات منسقة في تأليف معين، بحيث يفرض شكلا يكون على قدر المستطاع ثابتا ووحيداً".² وهو في هذا التعريف يركز على الكتابة باعتبارها تضمن الاستمرارية النص و خلوده، وهو ما عبر عنه "عدنان بن رذيل" بقوله: "إذن النص سلاح في وجه الزمان والنسيان، أو في وجه حذلقات القول، و لتواءاته حين يخلق، أو يتذكر، أو يستذكر".³

كما عرفه بارث في مقالة بعنوان "نظرية النص" بقوله: "المساحة الظاهرة للعمل الأدبي وهو نسيج الكلمات المستثمرة في العمل الأدبي والمنظمة با لكيفية التي تفرض بها معنى قارا ووحيداً قدر الإمكان".⁴

النص هو مجرد نشاط، وإن وضع المؤلف فيه مجرد وضع احتكاك؛ وهو لا يحيل إلى مبدأ بداية أو نهاية ، وإنما هو

1-عثمان ابو زيد: نحو النص -إطار نظري ودراسة تطبيقية-، ص 24-25.

2-عدنان بن رذيل: النص والأسلوبية، منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دط، 2000، ص 17.

3-المرجع نفسه:، ص 17.

4-حسن خوري: نظرية النص -من بنية المعنى إلى سميائية الدال- ص 54.

يحيل إلى غيبة الأدب ، وبالتالي يحدد مفهوم الانتماء.1 " كما اختلفت نظرة بارث للنص عن نظرة أصحاب النقد الأكاديمي ، التي ترى أنه "وثيقة تعتمد لمعرفة بيئة الأديب وعصره وإنما النص في حد ذاته هدف، فالأدب ليس إلا لغة ، أي نظام من العلاقات، وليس جوهره في الرسالة التي يحملها، إنما هو في نظامها بالذات.2" أما بالنسبة لناقد بنيوي آخر وهو "تودوروف" فنجد أنه يفصل بين الجملة والنص حيث يقول ".... لكن مفهوم النص لا يقف على نفس المستوى الذي يقف عليه مفهوم الجملة أو القصة، أو التراكيب، وكذلك هو متميز عن الفقرة التي هي وحدة منظمة من عدة جمل.3" وبهذا المعنى يجب تمييز النص عن الفقرة التي تمثل وحداً مطبعية، لعدد من الجمل؛ "يمكن أن يكون النص جملة كما يمكن أن يكون كتاباً بأكمله، إن أهم ما يحدده هو استقلالته و انغلاقه.4"

إن ما فهمته من هاذين التعريفين هو أن كليهما يؤكد على انغلاق النص واكتفائه بذاته، ومرد ذلك أن هذين الناقلين ينتميان إلى الاتجاه النقدي الشكلي الذي لا يولي أي اهتمام إلى كل من السياق والنص وكتابه معتبرين الصياغة الأدبية، صياغة لذاتها، وأن النص الأدبي يخلق بنفسه قوانينه الداخلية، مما يجعله كياناً مستقلاً.

لم يختلف مفهوم فاينريش "H-Weinrich" هو الآخر عن "من سبقه فهو يعرف النص بأنه" تكوين حتمي أجزاؤه ثابتة؛ بمعنى أنه كلية مترابطة الأجزاء، تتابع الجمل فيها وفق نظام ، وتسهم كل جملة في فهم ماتليها، كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخر، بحيث يتحقق المعنى، من خلال معاني الأجزاء و تآزرها في بنية كلية كبرى.5" وفي هذا الصدد نجد برينكر H-Brinker يحدد النص بأنه، " تتابع متماسك من علامات ، لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل (لا تحتضنها) تحت أية وحدة أخرى أكبر منها(أشمل).6"

أما هارفيج R-Hariveg فيرى أنه، "ترابط مستمر للاستبدالات النسجميمية التي تظهر الترابط النحوي في

1-عدنان بن رذيل: النص والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق، ص18.

2-محمد الأخضر الصبحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص22.

3-عدنان بن رذيل: النص والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق، ص15.

4-محمد الأخضر الصبحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص22.

5-عثمان أبو زيد: نحو النص-إطار نظري ودراسة تطبيقية، ص13.

6-سعيد حسن بحيري: علم لغة النص-المفاهيم والاتجاهات -ص100

النص.¹

ومن هنا أستنتج أن المنهج البنيوي يعتبر النص بنية منغلقة، داخلها علاقات منظمة ومنه فإن "احتلال النظام في طرف معين يؤثر في الأطراف الأخرى... 2" كما أنه يتعامل مع النص باستقلالية وخصوصية، ولا يتجاوز النص في رصد المعطيات التي يصوغها وينتجها. كما يستبعد علاقة النص بمبدعه، وبالواقع، ويرى أن التحليل البنيوي الشكلي وحده الكفيل بإبراز السمات النصية، ولمس الظاهرة الأدبية في النص وبيان علاقاته الداخلية وعلاقاته بالقارئ.

ومن هنا فالنص "لا يمثل مجرد متوالية Sèquence من مجموعة علامات تقع بين ، حدين فاصلين، فالتنظيم الداخلي الذي يحيله إلى مستوى مترابك أفقيا في كل بنيوي موحد لازم للنص، فبروز البنية شرط أساسي لتكوين النص".³

كما قطع المنهج البنيوي النص عن مؤلفه أو مبدعه، وسياقه الاجتماعي والتاريخي، حيث صار بعض المختصين يطلقون على الفكرة "موت المؤلف" أو الكاتب وهو طرح ينحى عن النص ميزات صاحبه، وبالتالي ينحى عن مؤلفه صفة الإبداع، والعبقرية الشاعرية ويحوّله إلى مجرد مستخدم للغة.

وهي قضية حاول بها الفكر الحدائي تخليص النص من سلطة المؤلف، ووضعها في سلطة القارئ.

3-3- تعريفات سميائية:

انطلق هذا الاتجاه في تعريفه للنص من كونه ظاهرة تتجاوز ما هولغوي، إلى جملة الرسوم والإشارات التي يتم التعامل معها دون اللجوء إلى الكتابة، مثل إشارات المرور وغيرها، كما انطلقت من كون النص هو مجموعة من النصوص المتداخلة حيث قرنت السميائية مصطلح النص بالتناص وهو ما أكدته الناقدة البلغارية "جوليا كرسيفا" في تعريفها لنص حيث تحدّد؛ "النص كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان عن طريق ربطه بالكلام التواصلية، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر، مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة و المعاصرة".⁴

1- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات- ص 99.

2- نور الدين صدوق: حدود النص الأدبي- دراسة في التنظير والإبداع- الدار البيضاء، دار الثقافة، ط 1، دس، ص 7.

3- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات- ص 106.

4- سعيد يقطين: انفتاح النص الرائي- النص والسياق- الدار البيضاء- المغرب، ط 3، 2006، ص 12.

وبهذا التعريف يتحدد النص كإنتاجية ومعنى ذلك " أن علاقته باللسان الذي يقع فيه علاقة إعادة توزيع (بناء و هدم) فهو بذلك أكثر من مجرد خطاب أو قول؛ إذ إنه موضوع لعدد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للإحصار في مقولاتها.¹ فالنص لا يقف عند سطح اللغة وهو يعني:

"أ- إن علاقته باللسان الذي يتموضع داخله، هي علاقة إعادة توزيع (صادقة /بناءة) وبذلك فهو قابل لتناول عبر المقولات المنطقية، لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب- إنه ترحال للنصوص، تداخل نصي، ففي فضاء (النص) معين تتقاطع، وتتناهي ملفوظات عديدة متقطعة من نصوص أخرى.²

والمقصود منه أن النص هو أكثر من خطاب، لأنه يفيد توزيع نظام اللغة؛ كاشفا في الأساس، عن العلاقة التي بين كلمات الأخبار المباشرة فيه، وبين الملفوظات السابقة عليه، إذ هو يمثل عملية تناص تتقاطع وتتناهي فيها ملفوظات متنوعة، كما تشير "جوليا كرسيفا" في تعريفها هذا إلى توالدية النص، حيث يصبح النص إنزياحا بين اللغة الطبيعة التي تمثل لأشياء، وبين ما تحمله هذه اللغة من مدلولات، وهو ما يكشف عن السياق التاريخي والاجتماعي للنص.

وقد جاءت أهم التعريفات السميائية للنص على يد "سولرز" Sollers philippe حيث ميز بين ثلاث مستويات للنصوص هي:

"-الطبقة السطحية للنص؛ وهي الألفاظ والجمل، والمقاطع...، أو ما هو مكتوب فعليا، وهي تقرأ بوضوح .

-الطبقة الوسطى؛ وهي التناص أو الجسد المادي للنص، وهو لا يكتب من أجل الكلمات، وإنما

هو من نصوص، حيث تتقاطع الكتب فيما بينها، وتحمل إلى نطاق أبعد من حدودها، وذلك داخل النص الجمل ويمثل سولرز للتناص بالكوميديا الإلهية لدانتي، وهو ما أطلق عليه إختراقية الكتابة.

-الطبقة العميقة؛ فهي الكتابة أو انفتاح اللغة.³

1- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع لوئحمان، القاهرة، دط، 1996، ص294.

2- جوليا كرسيفا: علم النص، ص21

3- عثمان أبو زيد: نحو النص -إطار نظري ودراسات تطبيقية- ص15

وإنتهى سولرز الى أن النص المكتوب، لا نهائي لأنه مكون من متتاليات، لا تأخذ دلالتها إلا من خلال علاقاتها، وقارئ النص مرغم على أن يصير طرفا في النص، ولتقى بذلك مع مفهوم "بارث" لنص على أنه " عملية إنتاجية تتشكل من أصداء اللغات والثقافات الأخرى وأنه نسيج توالدي تنحل فيه الذات المبدعة. "1

ثم جاء تعريف هارتمان P-Hartmann للنص حيث يقول بأنه: "علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسميائي".2

وفي هذا التعريف نجد أنه ينطلق من النظام اللغوي لوضع تحديد للنص، وهو مفهوم تجريدي للواقع حيث يرى "أن اللغة المستخدمة في الواقع، هي الموضوع الفعلي، العلامة الفعلية المنظمة، وهذه العلامة-في العادة-هي النص وبمعنى أدق هي نص بعينه.... ويحدد النص وفق ذلك بأنه؛ أي قطعة ذات دلالة وذات وظيفة، ومن ثم فهي قطعة مثمرة من الكلام".3

وما استنتجته في الأخير، هو أن دراسة النص وفق هذه المميزات الدلالية، يفضي إلى أن النص إشكالي واختلافي. ولا يقف السميائيين عند انفتاح النص اللغوي وتعدد حقوله الدلالية، واختلاف تأويلاته فحسب؛ بل يتجاوز إلى اعتبارهم النص غير مقتصر على الأشياء المكتوبة وإنما يتعداها إلى الفنون التعبيرية كالرسم و الموسيقى، و النحت والرقص، والغناء والرسم والشعر، ذات الطابع التعبيري.

كما أن النص ظاهرة متشعبة يصعب حصرها والإحاطة بكل خصائصها. لذلك تعددت وتشعبت تعاريف اللغويين والنقاد لها وهذا يرجع لسببين جعلنا من مفهوم النص مفهوما إشكالياً:

الأول هو عدم استقراره كمفهوم نقدي والثاني محاولة كل حقل من الحقول المعرفة، استغلاله لأهداف إجرائية منهجية.

1- رولان بارث: لذة النص، تر منذر عياشي، حلب مركز الإنماء الحضاري، ط1، دت، ص109.

2- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات- ص99.

3- المرجع نفسه: ص95.

ثانياً: مفهوم السياق Contexte

1- لغة:

تكاد المعاجم العربية تتفق حول هذه المادة، ففي لسان العرب يقول ابن منظور: "سوق السوق معروف، وساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياًقاً... وقد انسقت تساقوت الإبل تساقواً إذا تتابعت، وكذلك تفاودت، فهي متفاودة متساقوة، وفي حديث أمم عبد: فجاءت زوجها يسوقاً أعزراً متساقواً أي متتابعين. المساقوة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضها، والأصل في تتساقواً كأنها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل، ويتخلف بعضها عن بعض، ساق إليها الصداق والمهر

سياقاً أساقه، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدراهم والدينار وغيرهما... وهو في السوق أي الترع كأن روحه تساق لتخرج من بدنه ويقال له السياق أيضاً.¹

قال تعالى: { وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ } الآية 21 سورة ق. 2

قيل في التفسير: سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها، وساقها فانسقت

وأنشد ثعلب: لَوْلَا قَرِيْشٌ هَلَكْتُ مَعْدُ واستاق مال الأضعف الأشد

ولقد أورد ابن منظور أيضاً معنى التابع من بين معاني هذه المادة حيث قال: "يقال وَلَدْتُ، فلانة ثلاث بنين على ساق واحدة"³؛ أي بعضهم على إثر بعض ليس بينهم جارية، أما بقية المعاني الأخرى التي ذكرها صاحب اللسان، فليس هناك علاقة تربط بينها وبين المعنى.

قال تعالى: { وَلَقَدْ فَتَنَّا السَّاقِ بِالسَّاقِ 29 إِلَى رُبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ 30 } الآية 29-30. سورة القيامة 4

قال ابن كثير في تفسيره "إلتفت عليه الدنيا والآخرة ولذلك قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: آخر يوم من

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة سوق، دار صادر، بيروت، ط. 5، 2000، م. 7، ص. 304.

2- سورة ق: الآية 21. برواية ورش، عن الإمام نافع، ص. 519.

3- ابن منظور: لسان العرب، ص. 306.

4- سورة القيامة: الآية 29-30، ص. 598.

أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة غلا من رحمه الله وقال عكرمة التفت الساق بالساق، الأمر العظيم بالأمر العظيم، وقال مجاهد: بلاء بلاء¹.

وقال حسن البصري: هما ساقاك إذا التفتا، وفي رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحمله وقد كان عليهما جوالاً.

وكذلك قال السدي عن أبي مالك، وفي رواية عن الحسن هولفهما في الكفن، وقال الضاحك: "التفت الساق بالساق" اجتمع عليه أمرين: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه، وقوله تعالى "إلى ربك يوم إذن المساق" أي المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله عز وجل ردوا عبدي إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى².

هذا وقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو وحده الشيء، يقال ساق يسوق سوقاً، والسوقة؛ ما استيق من الدواب، يقال سقت إلامراً أي صداقها، وأسقته والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها³".

أما في القاموس المحيط فنجد معنى التتابع وعدم الانقطاع ظاهراً، "والسياق ككتاب المهر... والمنساق: التتابع. والقريب... وتساوقت الإبل؛ تتابعت وتقاودت، والغنم تتزاحم في السير⁴".

وجاء في أساس البلاغة "ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه؛ أي سرده⁵". كما ذكر الزمخشري ما يقارب العشرين معنى لهذه المادة (سوق) إذ يقول فيها: "ساق الغنم فانسقت، وقدم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلاً وستاقهم إبلاً... ومن المجاز ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر وساق الريح السحاب....⁶".

1- سورة القيامة: الآية 29-30. ص 578.

2- ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، دد، دط، دت، ص 2194.

3- المرجع نفسه: ص 2195.

4- ابن فارس: مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط 2، 1971. ج 3. ص 117.

5- الفيروزبادي: القاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 6، 1998. مادة سوق. ص 896.

6- الزمخشري: أساس البلاغة، دار بيروت لطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، ص 314.

ومما سبق أرى أن القاسم المشترك بين هذه المعاني جميعا هو معنى واحد تشترك فيه وهو التتابع والسير و الانتظار في قطيع واحد، وهو المعنى الحسي لهذه المادة، وهو وجه الشبه بين السياق بمعناه الحسي والسياق بمعناه اللغوي الضيق الذي يتردد كثيرا بين الدارسين غير المتخصصين حيث يقولون: "سياق العبارة أو سياق الموضوع أو سياق الحدث، ولا يعنون به أكثر منظم الكلمة في الجملة، أو نظم الجملة في العبارة أو الموضوع، وملائمة هذه الكلمة لما سيقت من أجله الجملة، وملائمة الجملة لما سيقت من أجله في الموضوع، وملائمة كل من الكلمة والجملة لما سيقت من أجله في المعنى".¹

قال " الراغب الأصفهاني: "سوق الإبل: حلبها وطردها، يقال سقته فانساق، والسويق سمي لانسياقه، في الحلق من غير مضغ".²

وبالنظر الدقيق إلى المعنى اللغوية التي ذكرها ابن منظور لهذه المادة، يمكن إبراز المعاني التي جاءت الكلمة لإفادتها في

- 1-- الرد والسلسلة و الإيراد، مجيء الشيء على التتابع، وأغلب ما يأتي معنى السرد لمادته الفعلية (سوق) فتقول العرب: ساق الإبل سوقا وسياقا إذا سردها سردا و أوردتها مكانا، وتقول ساق الحديث إذا سرده وسلسله .
- 2-- التقديم بمعنى تقديم الشيء بين يدي الشيء، تقول العرب: ساق إلامراته الصداق، إذا قدمه لها، من أجل النكاح، ومنه سمي المهر سياقا.

- 3-- الانتزاع والنزع من الشيء صبورا وتدرجا، بمعنى الخروج من عهدة الشيء على الصبر والمهلة، تقول العرب: ساق المريض سياقا، أي نزع عند الموت، ولذا سمي نزع الروح سياقا.

- 4-- الملازمة والمقاربة، ومنه جاء في الأثر " إذا تشهد الكافرو هو في السوق صلي عليه "3، ومن هنا لاحظت أن القاموس العربي القديم لا يواكب التحول الذي يعرفه المجتمع الغربي، فهو يعاني من فقر مصطلحي، وغالبا ما يضطر إهمال المصطلح أو التضييق عليه وحصر أفق إشتغاله. أما معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة لـ"سمير Contexte حجازي" فيعرف السياق بأنه "مجموعة من العوامل المؤثرة في إتجاه النص وفي شكله وفي النقد النبوي

1-- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء الإسكندرية مصر، ط 1، 2007، ص 27.

2-- فهد بن الشتيوي بن عبد المعين: دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي، في قصة سيدنا موسى عليه السلام، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005، ص 12.

3-- قادر كريم الزنكي: نظرية السياق -دراسة أصولية- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان دط، 2006، ص 33.

الدينامي؛ تتمثل في المجتمع والتاريخ، وفي النقد التفكيكي يتمثل في كل ما يجيء به القارئ ويحدد له إستراتيجيات القراءة قبل تعامله مع النص " 1

أ- أما السياق من خلال القواميس الغربية فقد جاء بمفهومين هما:
"أ- مجموع نص يحيط بعنصر لغوي (كلمة، جملة، جزء من ملفوظ) .

ب- مجموع الظروف التي في إطارها يندرج فعل ما. " 2

2-السياق عند العرب:

2-1-السياق عند العرب القدامى:

أ-السياق عند البلاغيين:

شكلت قضية اللفظ والمعنى في النقد القديم محور السياق الأدبي، ويقصد بالمعنى في هذه القضية؛ المعنى العام الذي يسميه "عبد القاهر الجرجاني" (الغرض)، والمعاني الجزئية التي تكون هذا المعنى الكلي خلال التشكيلات التي تمنح هذه المعاني ما يرقى بها إلى أن تكون فناً. " 3 وأقصد هنا بقضية اللفظ والمعنى إشارة البلاغيين إلى أن الألفاظ تتناهى، والمعاني لا تتناهى، يقول "الجاحظ" "في هذا المقام: "أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوبة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية؛ وأسماء المعاني مقصورة معدودة. 4 "وهو ما يوجب حصرالدوال اللفظية وغير اللفظية من تلك المعاني غيرالمتناهية حيث نجد "الجاحظ" في هذا الباب يذهب إلى أن أصناف الدلالة على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة، وذلك في قوله: "وجمع أصناف الدلالة على المعاني من لفظ وغير خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ، أولها اللفظ، ثم الإشارة ، ثم العقد ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة. " 5 وهي الفكرة التي انطلق منها البلاغيين في تحديدهم لمفهوم السياق؛ حيث ارتبط عندهم هذا الأخير بمقولة "لكل

1-سمير حجازي: المتقن معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعية، بيروت لبنان، دط، دت، ص46.

2-علي آيت أشان : السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة- دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1 ، 2000، ص31.

3-محمود محمد عيسى: السياق الأدبي-دراسة نقدية تطبيقية-جامعة المنصورة دمياط، دط، 2004، ص3

4-الجاحظ : البيان والتبيين، تح درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دط، 2003، ج1، ص56

5-المرجع نفسه ص57.

مقام مقال"الذي ورد في بيت الخطيئة ، يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تحنن علي هداك الملك فإن لكل مقام مقال 1

وهو يعني أحسن إلي حتى أذكرك في كل مقام يحسن فعلك .

يقول بشر بن المعتز: ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ،وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حال من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار المعاني، على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات. 2

ويبدو أن المقصود بالمقام في النص السابق هو الحال الاجتماعية للمخاطبين (المستمعين) ،لأن بشر بعد نصه السابق صرف المناسبة بين الكلام والمقام إلى الألفاظ التي يستخدمها المتكلم ومناسبتها للمستمعين حيث قال: "فإن كان الخطيب متكلمًا تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبر عن صناعة الكلام واصفا، أو مجيئا أو سائلا، كان أول الألفاظ به ألفاظ المتكلمين؛ إذ كانوا لتلك العبارات أفهم وإلى تلك الألفاظ أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحن، وبها أشغف. 3

وقال أيضا: "...إن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات."

فالمقام عنده من خلال هذه القول هو الألفاظ المناسبة للمقام الاجتماعي الذي يجري فيه الحدث ولكن يمكن أن يقال إن هذا التناسب له وجهان:

أحدهما تناسب الألفاظ مع المجال الخاص (الموضوع) كتناسب مصطلحات العلم مع الموضوع، والوجه الآخر تناسب الألفاظ مع الطبقة المستمعة، ومن خلال هذا أرى أن الحديث عما يمكن أن نسميه بالمعجم الخاص للمقام والموضوع معا؛ هي فكرة مبكرة جدا لما يعرف الآن في علم اللغة الاجتماعي بالسجل السياقي. وقد استمر المفهوم نفسه لمقولة " لكل مقام مقال "عند" ابن رشيق القيرواني" الذي ذهب إلى أن "أول ما يحتاج إليه الشاعر- بعد الجدة الذي هو الغاية، وفيه وحدة وكفاية- حسن التأني والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب

1- ديوان الخطيئة: برواية وشرح ابن السكيت ،دراسة وتبويب مفيدة قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1993. ص164.

2- الجاحظ: البيان والتبيين، ص138

3- المرجع نفسه :، ص138

4- المرجع نفسه :ص139.

ذل، وخضع، وإن أطرى وأسمع، وإن هجأخل وأوجع، وإن فخرخب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع ولتكن غايته معرفة، أغراض المخاطب كائنا من كان، ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر، ومغزاه الذي به تتفاوت الناس وبه تفاضلوا.¹

وفهمت من كلام "ابن رشيق" أنه يعني بالمقام (الغرض)، والأغراض تختلف بين مراد المتكلم وحال المخاطب، فهناك أغراض فردية، وهي تمثل مقام فردي، يتمثل في شعر الشاعر لنفسه، وفي مراده وفي أمور ذاته من مدح وغزل ومجون، وخمرية وما أشبه ذلك، وهناك أخرى احتفالية وهي مقام اجتماعي احتفالي يتمثل في شعر الشاعر في قصائد الحفل التي يقوم بها السلاطين. وهذه المواءمة اللفظية والمعنوية بين الكلام والغرض الذي يقال فيه سبق أن أشار إليها "القاضي عبد العزيز الجرجاني" في سياق حديث له عن اللفظ والمعنى إذ قال: "تلطف إذا تغزلت، وتفخيم إذا افتخرت، ولتتصرف للمدح تصرف مواقعه؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام".²

ومن هنا أرى أنه إذا كان الشعر يصاغ وفق مناسبات الأغراض والمقام فإن الغرض والمقام حينئذ يكون معينا على فهم ما لم يتضح من النصوص الشعرية وفي هذا إشارة واضحة إلى سياق النص وأخرى إلى سياق الحال الأمر الذي يكشف عن اهتمام البلاغيين بالسياق بنوعيه؛ سياق النص والموقف، إلا أن هذا الأخير لم يكن الاهتمام به متجها نحو الإفادة منه في الكشف عن المعنى، بالقدر الذي تبرزه أهميته في مطابقة الكلام له وفق خصوصية ما ترد فيه عند البلاغيين أو وفق اختيار لفظة تتناسب وذلك الموقف أو الغرض الشعري.

ومن هنا يذهب "عبد النعيم خليل" إلى أن "فكرة المقام عند البلاغيين تختلف في كثير من جوانبها عن ما قصده أصحاب النظرية السياقية في اصطلاحهم، إن المقام عند هؤلاء هو كل ما يعين على فهم الحديث اللغوي، ويساعد على إبراز المعنى سواء كان متصلا بالسامع، أو المتكلم أو علاقة كل منهما بالآخر، أو الأشخاص الآخرين المشتركين في الكلام، أو حتى غير المشتركين ممن لهم علاقة من قريب أو بعيد بالحدث اللغوي، أو الزمان أو المكان الذي يتصل بالحدث اللغوي وغير ذلك، مما يتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئية والنفسية والثقافية للمتكلمين والمشاركين في

1- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وأدباؤه ونقده، تح محمد عبد القادر، أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص208.

2- عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العلمية، ط3، دت، ص24.

الكلام"1، والمقام عند أصحاب هذه النظرية ليس مجرد مكان يلقي فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة آخذ بعضها بحجر بعض، فهناك كذلك في الموقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تفيد في فهم الكلام والوقوف على خواصه وهناك الكلام نفسه، وهذا الكلام في حقيقة الأمر ليس إلا عنصرا واحدا من عناصر المسرح اللغوي بأكمله، ولا يتم فيه إلا في هذا الإطار العام بما فيه من شخوص وعدد و آلات...وما يصاحبه من حركات الجسم، وإشارات وإيماءات وعزل الكلام عن هذا الموقف يحيله إلى مشوه أو شيء جامد. وأرى أن في هذا الكلام تأكيد على الدور الذي تلعبه السياقات، سواء كانت لغوية أو غير لغوية، في الوصول إلى الدلالات الحقيقية للنص.

"وعليه فقد أخذ البلاغيين حركات الشخوص وإيماءاتهم وإشاراتهم باعتبارها عنصرا من عناصر المقام كما فعل السياقيين، غير أن هؤلاء كانت هذه الأخيرة عندهم بمثابة عنصرا من العناصر التي تساعد على وضوح الدلالة وإبرازها، بينما هي عند البلاغيين كانت عنصرا من العناصر التي تساعد على توصيل الدلالة إلى السامع والإفصاح عنها."2

وقد انتبه الجاحظ إلى أهمية السياق وهو ما ذكرناه سابقا، وحدد عناصره ومقوماته التي أوصلها إلى خمسة عناصر وهي اللفظ والإشارة والحركة التي تدل على العدد والخط والنسبة (الحال والصوت) ويقول موضحا أن الصوت من عناصر السياق: "الصوت آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منشورا إلا بظهور الصوت"3.

وبذلك يحيط "الجاحظ" علما بالسياق ويسبق المحدثين في جعل السياق معتمدا على اللفظ والإشارة والصوت والحال، وهو ما عرف بالسياق اللغوي والسياق غير اللغوي، ومن هنا وجب الإشارة إلى أن السياق عند البلاغيين ارتبط بالمقام والمقام بلاغيا يرتبط بالسياق الخارجي، المتمثل في "مجموع الشروط التي تتحكم في عملية الإنتاج وتلقي الخطاب، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الحضارية والثقافية المحيطة بهذه العملية، إضافة إلى مستويات متلقي الخطاب، حتى يتوصل إلى الغاية من بثه"4.

1- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 165.

2- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 166.

3- نادية رمضان النجار: اللغة العربية وأنظمتها، دار الوفاء الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص 205.

4- سعيد حسن خمري: نظرية النص - من بنية المعنى إلى سميائية الدال - ص 184.

وهم ينظرون إلى المقام على أنه سكوني وهو، "جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزء منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالمتكلم وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية الاتصال".¹

وهذا ماجعل من السياق عند البلاغيين لا يعدو أن يكون، "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته؛ أي التعبير الأدبي لابد أن يحوي معنى يناسب السامع، وهذا المعنى يتطلب شكلا فصيحاً، ولن يكون المعنى مناسباً لمقتضى الحال؛ إلا إذا جاء هذا التعبير مصوراً لأبعاد هذا المعنى، تلك الأبعاد التي تتولد في أثناء السياق".²

فالسياق يتطلب تعبيراً يناسبه بحيث يحقق هذا التعبير بعددين أساسيين:

"بعد المعنى الذي يفهم المتلقي، وبعد التأثير الذي يتحقق من طريقة التشكيل اللغوي والتصوير الفني، ومناسبة التعبير لسياق تقتضي طريقة تشكيل معينة، فإذا وقعت اللفظة في سياقها حسنت وإذا لم تأتلف مع السياق قبحت".³

وتعد آراء الجاحظ والقاضي الجرجاني تأكيد على حرص القائل أن يطابق كلامه مقتضى حال السامع فيما يخص المعنى أو فيما يخص الأثر الانفعالي الذي يمس النفس.

ب- السياق عند النحويين:

إن كلمة السياق من الألفاظ التي استخدمها القدامى من النحاة ببدلوها اللغوي العام، ولم تكن تحمل المفهوم الاصطلاحي الذي أصبح شائعاً فيما بين علماء اللغة المحدثين وبخاصة الدالين منهم، رغم إدراكهم للسياق بنوعيه وتحويلهم عليه في تحليل الجملة الناقصة، والكشف عن المعنى المحتمل من الألفاظ المفردة، حيث يقول "ابن جني" في كتابه الخصائص: "قد حذفت العرب الجملة والمفردة والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، إلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"،⁴ وفي هذا القول إشارة واضحة على القرينة الدالة

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية - دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط 1، 2004، ص 41.

2- محمود محمد عيسى: السياق الأدبي - دراسة نقدية تطبيقية - ص 7.

3- محمود محمد عيسى: السياق الأدبي - دراسة نقدية تطبيقية - ص 8.

4- ابن جني: الخصائص، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، دت، ج 2، ص 326.

على المحذوف من خارج النص أو الجملة ورغم ذلك يبقى كلام ابن جني عاما ولا ينجل على سياق النص أو سياق الموقف.

كما وجدت أن النحويين عند دراستهم للجملة ووضعهم القواعد والأصول التي تحكم الترتيب بين أجزائها وتقسيمها إلى فعلية وظرفية إنما كان من المنطلق النظر إلى التراكيب السياقي لا إلى المفردة التي هي وحدة سياقية وليست سياقاً لغوياً متكاملاً، ومن هنا يعرف "حلمي خليل" السياق بقوله: "السياق اللغوي يتمثل في الأصوات، والكلمات والجملة كما تتتابع في حدث كلامي معين أوصى لغوي".¹ وإتجه النحويين أيضاً إلى الإعراب بحسب ما يفرضه السياق، فالسياق اللغوي لأسلوب الشرط مثلاً يقتضي ثلاث عناصر هي: أداة الشرط، فعل الشرط، جواب الشرط، وقد وضعوا أحكاماً خاصة بهذا الأسلوب من بينها العلاقة بين الشرط وجواب الشرط؛ والتي تتمثل في علاقة السبب بالمسبب، ومن الإضمار المناسب للسياق ما جاء به سيبويه تحت عنوان "هذا باب ما يضم فيه الفعل المستعمل بعد حرف"، حيث قدر المحذوف بحسب السياق اللغوي، وذلك كقولك: الناس مجزيين بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والمرء مقتول بما قتل به فإن خنجراً فخنجر، وإن شئت أظهرت الفعل فتقول إن كان خنجراً فخنجر".²

في الأخير ومن خلال دراستي لسياق عند النحويين، توصلت إلى جملة من النتائج أهمها: أن علماء اللغة قديماً وحديثاً أدركوا هذه الوظيفة المهمة لسياق رغم إن فكرة السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي، لم تكن لتمثل نظرية متكاملة المعالم في الدرس النحوي كما هي الآن في الدراسات اللغوية الحديثة، ومع ذلك فإننا لا نعدم وجود إشارات ذكية ومتقدمة غير أنها متناثرة في دراساتهم وبحوثهم، ولم تجمع في إطار نظري موحد. كما أن النحاة اعتمدوا على السياق اللغوي بمعناه الضيق المتمثل في الشاهد النحوي أو التركيب، في بيان الوظيفة النحوية و عرفوا ما يسمى في الدراسات الحديثة بـ "سياق الموقف" و أطلقوا عليه "الحال" أو "الحال المشاهد" وكانت لهم في هذا الجانب إسهامات واضحة، حيث تحدثوا عن أطراف الموقف اللغوي من متكلم ومخاطب، وموضوع الحدث، والعلاقة المعرفية بينها، وبناء على ذلك فإن دلالة الحال عند النحاة تكاد تقترب من مفهوم "سياق الموقف" في الدراسات الحديثة.

وبهذا نجد أن الدراسات النحوية: هي دراسة سياقية في جميع جوانبها، فإن كان السياق اللغوي نظم الكلمة في

1- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 111.

2- المرجع نفسه: ص 114.

الجملة وموقعها من ذلك النظم ، فهو عند "حلمي خليل" يتمثل في الأصوات والكلمات والجمل كما تتتابع في حدث كلامي معين أونص لغوي.¹

وعلى ذلك فقد ارتبط النحو بمفهومه العام بالسياق اللغوي ، وقد ظهر أثر السياق جليا في الدراسات النحوية القديمة عن طريق " دراسة النحويين للجملة ووضعهم القواعد والأصول التي تحكم ترتيب بين أجزائها...الترتيب بين الوحدات السياقية التي هي الكلمات على مستوى العبارة أوالجملة".²

وهنا أصل إلى أنه حتى وإن لم يشر علماء النحو إلى السياق بلفظه صراحة ، إلا أن كتبهم حوت إشارات عميقة لغير قرينة الإعراب من القرائن النصية الأخرى، كما حوت إشارات مهمة إلى الترابط في سياق الجملة أوالجمل، مما يعني وعيهم بسياق النص.

ج-السياق عند الأصوليين:

الأصوليين هم علماء الفقه أوالفقهاء الذين تحدثوا عن الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية ، وقد اهتم هذا الفريق من العلماء بالسياق اهتماما كبيرا ، وأدركوا أثر قرائن السياق في فهم النصوص الشرعية، لاستنباط الأحكام الفقهية ، واعتدوا به وسيلة للكشف عن المعنى المراد.

وقد كان أول من أشار إلى السياق من الأصوليين "الشافعي" الذي يعد أول من ألف في علم الأصول في معرض كلام له في كتاب " الرسالة " حول اللسان العربي حيث قال: "...إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها،على ما تعرف من معانيها،وكان ما تعرف من معانيها اتساع لسانها،وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، و يستغني بأول هذا منه عن آخره وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص،فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه،وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهرة، فكل هذا موجود في أول الكلام أووسطه أوآخره".³

كما اهتموا بما يسمى علم الدلالة، الذي هو واحد من الأسس التي تقوم عليها نظرية السياق، وغايته الكشف عن المعنى بشتى الوسائل التي تعين على إبرازه ، ولقد تشعب تناول الأصوليين للدليل الذي هو محور هذا العلم إلى

1-عبد النعيم خليل:نظرية السياق بين القدماء والمحدثين،ص ص 111.

2- المرجع نفسه:ص ص 113.

3-1-قادر كريم الزنكي:نظرية السياق-دراسة أصولية-ص 37.

نوعين من تناول:

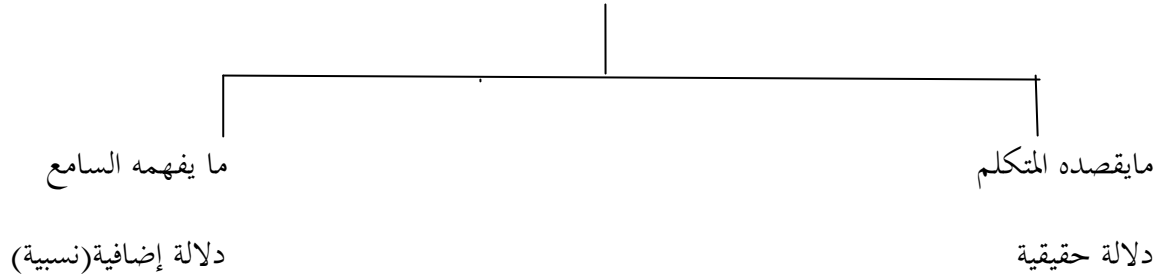
الأدلة النصية من الكتاب والسنة تعميقا أو تخصيصا أو إطلاقا أو تقييدا.... الغ

والآخر: الدليل من حيث كيفية الاستدلال به، وهو البحث الذي اقتضى من الأصوليين تفصيلا طويلا في البحث اللغوي، ذلك أن الكتاب والسنة مع القياس إلى حد ما لابد فيها من الفهم اللغوي الصحيح للنصوص المستنبطة لإمكان الحكم بموجبها نصا أو قياسا عليها.

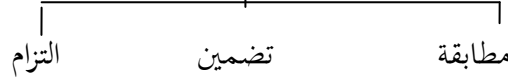
وهذا التعدد الذي نتج عن التناهي وعدمه بين المباني والمعاني أفضى بحل الإشكال الناتج عنه إلى السياق الذي عول عليه مرجعا تفسيريا للنصوص على اختلاف أنواعها، وبخاصة النصوص الشرعية التي كانت موضع دراسة الأصوليين.

لقد كانت دراسة الأصوليين للدلالة من النوع الذي يتسم بالعمق والأصالة وكثرة التعريفات، فنظروا لدلالة اللفظ باعتبارات مختلفة، كالمتكلم والسامع، والضيق والاتساع، والحقيقة والجواز، والوضوح وعدمه، وقد لخص طاهر حمود العلاقات المختلفة للتناول الدلالي عند الأصوليين على النحو التالي:-

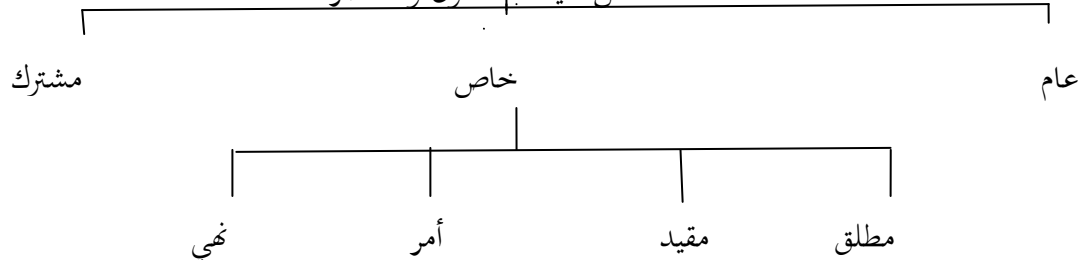
أقسام الدلالة من حيث المتكلم والسامع

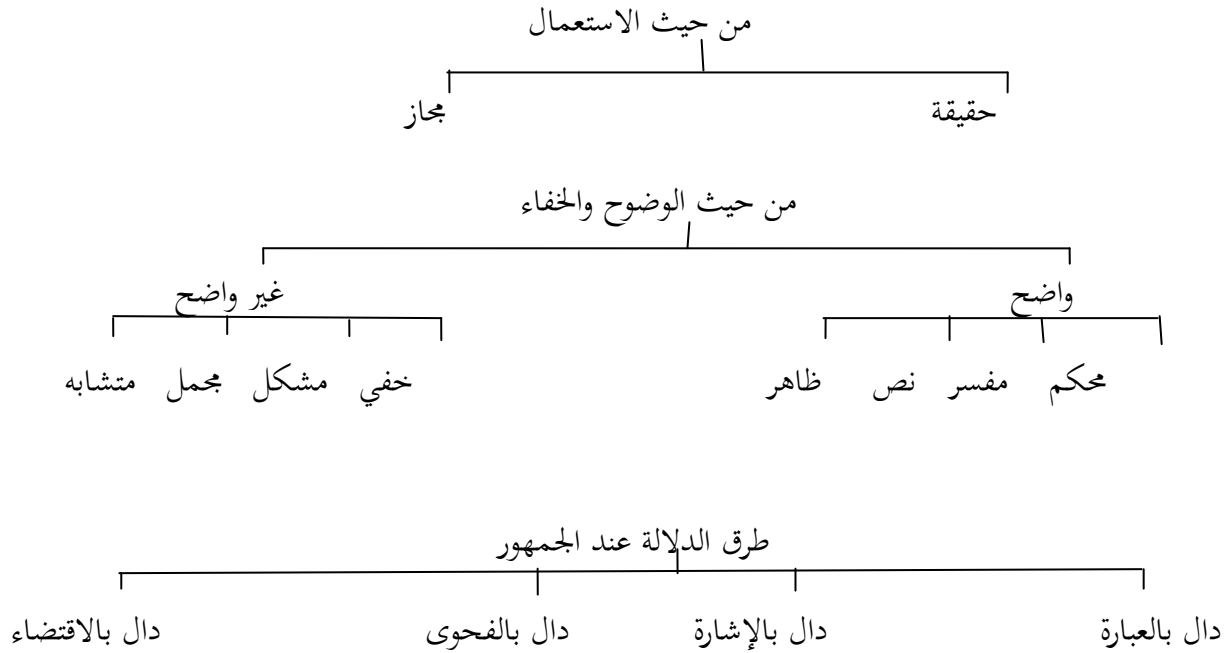


من حيث كمال المعنى



من حيث الشمول و الحصر





"مخطط رقم(1): أقسام الدلالة عند الأصوليين.

وهذا مخطط نستطيع من خلاله تحديد الاعتبارات التي قسمت بناء عليها الدلالة¹.
 مثل إعتبار المتكلم والسماع وهي من العناصر الأساسية في النظرية السياقية بوجه عام.
 كما أن مبدأ الاحتمال وعدمه في الدليل اللغوي كان هو الاعتبار الأهم الذي كشف عنه المخطط السابق،
 فهناك مقصود للمتكلم ، ومفهوم السماع، وهناك عموم و خصوص و اشتراك، وهناك مطلق ومقيد، وتغيير في
 الاستعمال حقيقة ومجاز، وقد أفضى الاحتمال إلى اهتمام الأصوليين بالسياق وعنايتهم به عناية واضحة وجلية،
 فنجدهم يطلقون لفظ السياق ويريدون به ، ما سبق اللفظ أو ما لحق من قرائن لفظية يقول "أمير باد شاه" و "ابن
 أمير الحاج": أن يكون هناك قرينة لفظية سابقة عليه أو متأخرة عنه.² بمعنى سياق النظم كما يريدون بالسياق
 أيضا الغرض الذي من أجله ورد الخطاب، ويرى الشاطبي أن السياق يجعل المفردة أو الجملة أو العبارة ذات معنى
 إستعمالي ، وذلك المعنى الإستعمالي إنما يميزه عن غيره من وجوه الإستعمال مقام الخطاب ومقتضى الحال فقد
 صرح أن السياق الواحد يختلف معناه بحسب اختلاف مقتضيات الأحوال، فلئن كان "السياق وسيلة للتعريف على

1- طاهر حمود: دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص13-14.

2- قادر كريم الزنكي: نظرية السياق- دراسة أصولية- ص45.

المعنى ، فإن السياق نفسه يتوقف إدراك وجهه الدلالي على المقام ومقتضى الحال.¹ ومن هنا نجد أنهم قد اهتموا بالسامع أو الحاضرين مع اهتمامهم بالمتكلم باعتبارهم من العناصر المكونة للسياق، وهو ما يؤكد الشاطبي في قوله : "المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات..."²

وهكذا جاء حديث الأصوليين عن السياق بكل جوانبه من منطلق البحث عن الدلالة أساس البحث الأصولي، وصولاً إلى الحكم الشرعي الذي تستقيم معه الحياة الاجتماعية، ومن ثم فقد عرضوا للكلمة على مستوى اللفظ المفرد ثم على مستوى التركيب الذي هو أساس السياق اللغوي ، آخذين في الاعتبار كثيراً من الجوانب التي تبين معها الدلالة كالعموم والخصوص ، والحقيقة والمجاز والمناسبة وقصد الشارع ، واجتماعية اللغة فجمعوا بذلك حلّ عناصر النظرية السياقية التي ينادي بها المحدثين.

وهذا ما أكدّه طاهر حمود في مخطّطه الذي يؤكد أن الأصوليين قد أدركوا عناصر السياق المختلفة بشقيها اللفظي والاجتماعي، وضرورة الإستعانة بها للكشف عن المعنى وتحديدّه، "وهو ما تتبعوه في دراستهم، وهم بذلك يتفقون من حيث الجوهر مع نظرية السياق الحديثة، بل إن الواقعية في دلالات صيغ العموم يشبهون إلى حد ما السياقيين من أتباع فيرث وإن لم يلتزم الأصوليين في عملهم بما تفرضه النظرية من مراحل للتحليل على المستويات اللغوي".³

ومن هذا كله يتضح أن السياق كان مرجعية تفسيرية أساسية عند الأصوليين، اتضحت فيما عرضناه من تأكيدهم على هذه المرجعية.

د-السياق عند المفسرين:

لقد كان المفسرين من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق، واستعانوا به كوسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد لشارع الحكيم.

يقول صاحب كتاب " دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم " :أما السياق القرآني فإننا نقصد به أمرين:

1- الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن ،الى جانب النظم الإعجازي، والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته.

1- قادر كرم الزنكي: نظرية السياق-دراسة أصولية -ص46.

2-عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين،ص257.

3- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين،ص333.

2- الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعاتها ، مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام، ولحكمه بلاغية تتصل بأغراض السورة.¹

كما أن المفسرين في البحث عن المراد أو المعنى في القرآن الكريم طريقتان هما نوعا التفسير وهما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

أما التفسير بالمأثور فمعمده القرآن والسنة وأقوال الصحابة، يقول ابن كثير: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له"² ، وهذه الطرق في التفسير بالمأثور تعتمد في معظمها على السياق بنوعيه، فهي تعتمد النصوص (سياق القرآن) فإنه يفسر بعضه بعض، أو السنة وهي وإن لم تكن فعلاً أو تقريراً فلا شك هي قول أي نص، ففي هذين الطريقتين تناول للقرآن بالنصوص منه ومن السنة وهو ما يسمى سياق النص.

أما سياق الموقف فيبدو في أقوال الصحابة في التفسير، لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال التي تتمثل أولاً في أسباب النزول، فكثير من الآيات ارتبطت بمواقف وأحوال اقتضت نزولها قال "ابن تيمية": "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".³ ومن هنا تجعلنا معرفة الملابسات والأحوال والظروف التي تتكاثف جميعاً في التأثير على دلالات الخطاب ، ومن جملتها الإشارات والإيماءات المساعدة التي يستعين بها المتكلم لإيضاح فكرة و إبلاغها إلى السامع ، " كما تتدخل عوامل أخرى ، منها ما يتعلق بشخصيات المتخاطبين وحياتهم الخاصة ، وتاريخهم الاجتماعي، والعلاقة بينهم، ومن هذه العلاقات ما هو وليد المواقف بحكم ظروف الزمان والمكان التي يقع فيها الخطاب".⁴

ويدخل في هذا معرفة أسباب النزول ومعرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال أصحابه وسيرته، ومعرفة المكّي والمدني، وغيرها من أحوال نزول القرآن الكريم، وقد كان الصحابة يعنون بهذا لما له من الأثر في فهم المعنى. وفي هذا السياق نجد قول السعدي: "ومن فوائد معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة الآيات القرآنية المنزلة

1- عبد الوهاب أبو صفية الحارثي: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ص 89.

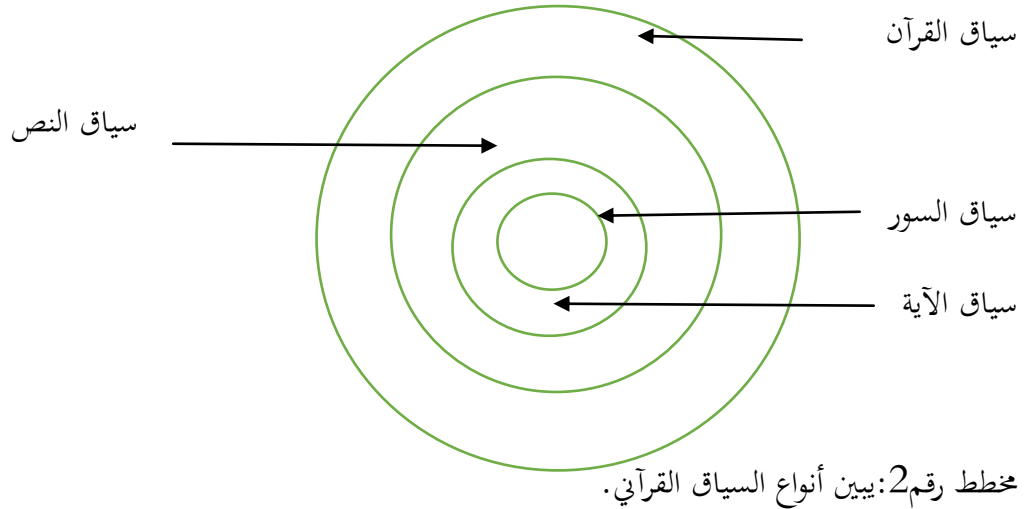
2- ابن تيمية: (مجموع الفتاوى) جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد مجدي، دد، دط، 1977، ج 1، ص 3.

3- المرجع نفسه، ج 13، ص 339.

4- محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 2007، ص 160

عليه ، وفهم المعنى المراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول وسيرته مع قومه وأصحابه ، وغيرهم من الناس ، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص تختلف اختلافاً كبيراً ، فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك ، لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله وعلى مراد الله من كلامه شيء كثير وهذا إنما يعرفه من عرف ما في أكثر التفاسير من الأغلاط التي ينوه عنها كلام الله¹.

وفي الاتفاق قال الواحدي: "لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قضيتها وبيان نزولها." وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"². ومن هنا يمكن تعريف دلالة السياق بأنها : فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده ، كما نجد تعريف لدلالة السياق عند "يوسف العيساوي" يصف فيه دلالة السياق بالقرينة ويشير في تعريفه إلى أجزاء السياق وهما: السياق واللاحق، كما يشير إلى نوعي السياق المقامي والمقالي، حيث يقول "قرينة توضح المراد- لا بالوضع- تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه"³. أما فيما يخص أنواع السياق في القرآن الكريم فقد عددها "عبد الوهاب أبو صفية الحارثي" بقوله: "هناك سياق الآية وسياق النص، وسياق السور، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافئة حول إيضاح المعنى"⁴. وهذا مخطط أوضح من خلاله هذا التداخل



1- عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، مركز صالح بن صالح الثقافي، المملكة السعودية، ط 1، 1986. ج 1، ص 27.

2- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي: الإتفاق في علوم القرآن، تح مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، دمشق، ط 3، 1995. ج 1، ص 93.

3- يوسف العيساوي: أثر العربية في إستنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 1، 2002، ص 337.

4- أبو صفية الحارثي: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ص 88.

حيث نجد مثلاً في سياق الآية يكون النظر فيما يكون الغرض في الآية ، فإذا كان هناك خلاف في معنى الآية ، فإننا ننظر في السياق ، كما أنه إذا حصل لفظ مشترك لا يتبين إلا من سياق الآية مثال ذلك : لفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام والعفاف ، والحرية والتزويج ويتحدد أيها المعنى بالسياق . ففي قوله تعالى : {فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفِجْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفَهُمَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} الآية 25. سورة النساء. 1. المراد بالإحصان هنا التزويج لدلالة السياق. قال "ابن كثير" في تفسير هذه الآية: "إن المراد بالإحصان ها هنا التزويج، لأن سياق الآية يدل عليه، 3 حيث يقول سبحانه وتعالى: {وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَافٍ الْمُؤْمِنَاتِ} الآية 25 سورة النساء. 2. و الآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فيتعين أن المراد بقوله تعالى : "فإن أحصن" أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره وقد اتفق ابن عباس والشنقيطي على تحديد المعنى بدلالة السياق أما ما تعلق بسياق النص فهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيراً في سياق القصص فيكون الترجيح بناء على سياق النص، ومثال ذلك في قوله تعالى : {إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُعِيدُ} الآية 13 سورة البروج. 5. "يقول النحاس في معناه قولان، قال ابن زيد: يتبدل خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة ، و عن ابن عباس يقول: يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة ، قال أبو جعفر وهذا أشبه بالمعنى لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا و لهم عذاب جهنم. 6" و يتعين المحذوف بناء على سياق النص كذلك ومثاله ما جاء في تفسير المقدسي أبو شامة. لقوله تعالى: { فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا لَهَا صَافِلَهَا } . الآية 82 ، سورة هود. 7.

1- عبد الوهاب أبو صفية الحارثي: دلالات السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ص 88.

2- سورة النساء الآية 25، ص 822

3- محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 3. 1992 ج 1، ص 280، 279.

4- سورة النساء الآية 25. ص 822.

5- سورة البروج الآية 13، ص 590.

6- أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس: إعراب القرآن ، تح زهير غازي، عالم الكتب، الرياض ، ط 3. 1988 ج 5، ص 194.

7- سورة هود الآية 82، ص 231.

"أي عالي مدائن قوم لوط ، ولم يتقدم لها ذكر ولكن علم ذلك منسياق القصة"¹، وفي سياق النص يتبين وجه الصواب من أقوال العلماء، وذلك حين يكون السياق مبينا لعدم صحة قول وصواب غيره.

كما نجد أن العلماء قد نظروا في سياق السور ، وبحثوا عن الغرض الذي جاءت من أجله ، حيث نجد من الأمثلة التي تبين أهمية دراسة سياق السور ما ورد عن ابن القيم الجوزية في وجه مناسبة الأمثال التي وردت في سورة التحريم لسياقها التي أوراد الله فيها شأن امرأة نوح وامراً لوط فيقول : " في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السور، فإنها سبقت في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتظاهرن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة لن ينفعهن اتصاهن بالرسول كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصاهما بهما ."²

كما بين ابن تيمية وجه المناسبة بين إيراد حقوق النبي وحقوق أهل بيته في سورة الأحزاب، وبين ذكر غزوة الأحزاب في السورة ، و هي مناسبة خفية إلا إذا عرفنا سياق السورة، حيث يقول: "هي سورة تضمنت ذكر هذه الغزوة التي نصر الله فيها عبده ، و أعز فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال ، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم ، ذكر فيها خصائص الرسول وحقوقه وحرمة أهل بيته لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال ."³

ومن هنا أرى أن علماء التفسير ضموا جل عناصر السياق، والتي تتمثل في المتكلم والسامع وهذا مأخوذ من حديثهم عن العام والخاص وأسباب النزول وكذا الزمان والمكان وهو ما نصوا عليه في معرفة المكي والمدني من القرآن فهما يمثلان عنصرا لزمان و المكان، وكذا ما في المواقف من أشياء وظروف وملابس مما تبينه أسباب النزول وهي واحدة من الدراسات التفسيرية.

كما أن هناك الكثير من الآيات الكريمة التي لجأ فيها المفسرون إلى السياق الاجتماعي للوقوف على الدلالة، وعدم الاقتصاد على المعنى المعجمي الذي قد لا يسعفهم في كثير من الأحيان ، ومن ثم لجئوا إلى خلق مسرح لغوي يتلاءم مع الحدث الكلامي .⁴

1- عبد الرحمان إسماعيل المقدسي: إبراز المعاني في حرز المعاني في القراءات السبع، تح إبراهيم عطوة، مكتبة المصطفى الإلكترونية، دط، دت، ج 2، ص250.

2- ابن القيم الجوزية: الأمثال في القرآن، تح إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة طنطا، ط. 1. 1985. ص57.

3- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج28، ص433.

4- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص199.

كما نجد "الو احدي" يشير إلى أهمية المسرح اللغوي في معرفة الحدث الغوي في قوله: "إلا بالرؤية والسماع ممن شاهدوا التنزيل".¹ والمشاهدة لا تكون إلا في المسرح اللغوي الفعلي ومعايشة الحدث الكلامي بل وجدوا من الحرج بمكان أن يفسر الدارس القرآن الكريم بدون المشاهدة أو الأخذ عن من شاهدوا.

روي عن "محمد بن سيرين" أنه قال: "سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال اتق الله وقل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن، وقد كان الأصمعي برغم من علمه الواسع باللغة إذا سئل عن شيء منها من الكتاب والسنة قال العرب تقول معنى هذا كذا، ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو".²

ولذلك فقد كان المفسرين يحرصون على بيان السور والآيات نصيا وفق الاعتبارات اللغوية (سياق النص) ووفق الاعتبارات الخارجية (سياق الموقف) من أسباب النزول ومفاهيم الآيات، وقد استنتجت مما سبق أن السياق عند القدماء يشمل ترتيب الألفاظ وتنسيقها، بحيث تترتب الكلمة اللاحقة على ما قبلها من الكلمات، وتتركب كل كلمة في التراكيب بكل كلمة سابقة عليها، كما يشمل الإشارة، (بالعين، الحاجب، العصا، السيف) وكذلك دلالة الحال والمقام عليها، كما يشمل السياق أيضا "التأثير الجمالي للكلمة في داخل التراكيب، كما يشمل طريقة إخراج الصوت من تفخيم اللفظ والتنغيم والنبر، وكذلك التوافق الدلالي بين دلالة الألفاظ وما في التراكيب من ألفاظ أخرى ذات معاني معينة، يضاف إلى ذلك الارتباط النفسي بين حال المتكلم وانفعالاته عند إلقاء حديثه".³

كما التفت القدماء إلى السياق اللغوي وغير اللغوي، وذلك لأهميته في الوصول إلى المعنى المراد من التراكيب، ولا يتوقف ذلك على العناصر الغوية فقط، بل يعتمد أيضا على المقام المحيط بالجملة وحال المتكلم والمخاطب، وطبيعة الموضوع... "والمراد بالسياق عندهم هو المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة، أو في الجملة".⁴

ومن هنا يمكن أن نلخص القول في مفهوم السياق عند العرب في هذه النقاط الثلاث التالية:

1- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 200..

2- المرجع نفسه: ص 200.

3- نادية رمضان النجار: اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص 211.

4- عبد الرحمان بودرع: منهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة، قطر، ع 111، ط 1، 2006، ص. 31- 30

- 1- أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وهو واحد من المفاهيم التي عبر بلفظ السياق (السوق) عنها، وكان استعمالها منضبطا عند الأصوليين.
- 2- أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص، أو نزل أو قيل بشأنها وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام.
- 3- أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في مواضع النظر أو التحليل ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالاته ويجعل منها وجهها استدلاليا.

2-2- السياق عند العرب المحدثين:

ارتكز مفهوم السياق في النقد الحديث على أساس فكري، أطلق عليه النقاد المضمون الذي يعني المادة الخام التي يستخدمها الشاعر، سواء كانت فلسفة أو أخلاقاً أو اجتماعاً أو سياسة أو غير ذلك من موضوعات ذات شأن تاريخي، أو وطني، وهذا المضمون لا يتحقق إلا من خلال الشكل الذي تتحقق من خلاله شروط الفن الأدبي من وزن صور شعرية صياغة فنية، وما قد يتحقق من خلال ذلك من جمال وانسجام في الوحدة أو التنافر في الأجزاء. ولكن هذا الاهتمام بالمضمون لا يقصي بالدرجة الأولى الاهتمام بالشكل عندهم فهم يعتبرون أن المضمون يستمد قيمته من طريقة التشكيل الفني (الدلالة الصوتية أو التركيبية)¹. فمنطلقهم لا يعدو كونه عناية بالمضمون دون جحد الصور التي تحولها إلى مضمون في " وقد أطلق عليه كمال بشر مصطلح المسرح اللغوي، والمقام أو مجريات الحال، وليس هو مجرد مكان يلتقي فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة أخذنا بعضها بحجر بعض فهناك الموقف كله، بمن فيه من متكلمين (بائين) ومستمعين (متلقين) وعلاقتهم ببعض وهناك كذلك ما في المواقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي تفيد في فهم الكلام، والوقوف على خواصه وهناك كذلك الكلام نفسه. "2 وعرفه محمود السعمران بقوله: "إن سياق الحال أو المجرى، هم جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو الحال الكلامية."3

أما عبد الله الراجحي فيقول: "إنه مجموع الظروف التي تحيط بالكلام."4
و يعرف محمد العمري في مجلة "دراسات سمائية" السياق بقوله: "يتسع المقام ليشمل جميع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب شفويا كان أو مكتوبا، وكثيرا ما ارتبط المقام في البلاغة العربية بزيادة شرح وتحديد ذلك بالحديث عن أقدار السامعين ومقتضى أحوالهم."5 وهذا التعريف يتفق مع مقولة "الجاحظ": "مطابقة المقام لمقتضى الحال".

ثم فرق بين المقام والسياق وذلك بحصر الأخير في العلاقات بين الوحدات اللسانية داخل التراكيب حيث يقول: "لا بد من التمييز بين المقام والسياق وذلك بحصر الثاني في العلاقات بين الوحدات اللسانية داخل التراكيب: سياق

1- محمود محمد عيسى: السياق الأدبي-دراسة نحوية تطبيقية -ص 40.

2- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 82.

3- المرجع نفسه: ص 82.

4- محمود محمد عيسى: السياق الأدبي - دراسة نحوية تطبيقية -، ص 82.

5- حسن خيري: نظرية النص -من بنية المعنى إلى سمائية الدال -، ص 184.

كلمة أو وحدة صوتية مثلاً. وقريباً من السياق ما يسميه بعض البلاغيين المقام الداخلي في الأدب؛ وهو العلاقة بين الشخصيات في العمل السردي والمسرحي ، تميزاً له عن المقام الخارجي المرتبط بمن يستهلك ذلك الإنتاج.¹ وما لاحظته هو أن طرح محمد العمري لمفهوم السياق يرتبط بالإنجازات البلاغية القديمة خاصة من خلال هذه الطروحات يتضح أن القراءة السياقية تراهن على مبدأ العلية الذي يحكم العلاقة بين النص الأدبي و العناصر الخارجية ، فهي لا تتصور أنها تستطيع الولوج إلى عالم النص دون مفتاح الاحالات الخارجية ، فأسرار العمل الأدبي مرهونة بها.

أما عبد "الوهاب الحارثي"، فقد عرف السياق بأنه " : الكلام الذي خرج مخرجاً واحداً واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم، و انتضمت أجزائه في نسق واحد، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق." ² هناك من عبر بألفاظ مرادفة للفظ السياق مثل لفظ المقام والمقتضى ومقتضى الحال ، ولفظ التأليف ولفظ النظم القرآني ، وكلها تؤدي مفهوم السياق . ومن هنا نصل إلى أن السياق عنده هو؛ انتظام القرائن الدالة على المقصود من الخطاب سواء كانت القرائن مقالية، أو حالية، أو العبارات المكونة السابقة واللاحقة ، والغرض الذي جاء من أجله الكلام.

في حين نجد سالم خدادة يعرف السياق بقوله " : السياق يعني الكلمات التي تسبق كلمة أو عبارة أو الجملة ، والتي تأتي لتساعد في بيان ما تعني هذه الكلمة أو العبارة أو الجملة ويعني الظروف التي تحيط بالحدث اللغوي ، والتي يجب مراعاة الحدث من خلالها".³

بمعنى أن السياق يعني في دلالاته الأول ؛ البنية اللغوية في اتصالها بما قبلها وبعدها (السياق اللغوي ، المقالي)، ويعني في دلالاته الثانية ؛ الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي أو المقالي.

وهو نفس ما ذهب إليه " فريد عوض " في عرضه لمفهوم السياق حيث يقول " :السياق علاقة لغوية أوحارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي . " ⁴ وهو يشير في قوله الى نوعين من السياق هما سياق اللغوي ، و سياق الموقف (الحال).

1-حسن خيري: نظرية النص من البنية المعنى الى سميائية الدال . ص 184.

2-قادر كريم الزنكي: نظرية السياق-دراسة أصولية-ص55.

3-المرجع نفسه:ص53.

4-المرجع نفسه :ص53.

"فالنصوص تتراسل مع سياقاتها، وهي تزداد ثراء بتفاعلها مع سياقات ثقافية متغيرة ولا نريد بذلك تقييد دلالاتها النصية، وإنما نسعى الى منحها المعاني المتجددة والمواكبة للسياقات المتغيرة التي تأخذ أشكالاً مختلفة في الزمان والمكان." 1

وهو ما أكدّه "يوسف نور عوض" الذي يرى "أن الكلمات لها ارتباط بالثقافة إذ تحمل وضعيات ثقافية معينة فتكون علامات على الانتماء العرقي أو الديني أو السياسي." 2

وفي هذا الصدد يقول "سعيد بن كراد" في مقال له بعنوان "سياق الجملة وسياقات النص": إن بناء الخطاب هو في الأصل إقطاع لجزئية من ممتد ثقافي وإبداع بنية مستقلة محدودة من حيث مكونات التأليف والاحالات. 3

وفي هذا تأكيد على أنواع السياق التي جاء بها ك- أمير والتي تشتمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية وظروف اجتماعية وخصائص وسمات ثقافية ونفسية، وهنا يشمل السياق جميع العناصر من خطاب وهو النص اللغوي بعد استعماله ، ومصدر الخطاب وهو المتكلم ، ثم متلقي الخطاب ، والذي يفسر الخطاب حسب تكوينه الثقافي، ثم المساق؛ وهو مجموعة الظروف التي تتكاثف جميعاً لتأثير على دلالة الخطاب.

1- عبد الله إبراهيم: التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، الجزائر ط 2، 2005، ص 89.

2- يوسف نور عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث ، دار الأمين، القاهرة ، ط 1، 1994، ص 83.

3- سعيد بن كراد سياق الجملة وسياقات النص ، مجلة علامات العدد 33، ص 9

- السياق عند الغرب:

بعد عرضي لمفهوم السياق عند العرب واستخداماتهم له في مجالات عديدة ، تجدر الإشارة إلى السياق عند الغربيين ، بصفتهم هم الذين صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى من صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية، و وضعوا لها معايير والإجراءات مما جعل البعض يعترف بأنها الاسهام الحقيقي اللغويين الإنجليز في مجال الدراسات اللغوية عامة ، والدرس الدلالي على وجه الخصوص، وقد سبقت هذه الجهود الإنجليزية وجهود أخرى ، مهدت لها وأوصلت إليها.

3-1-السياق قبل فيرث:

-دي سوسيروالسياق:

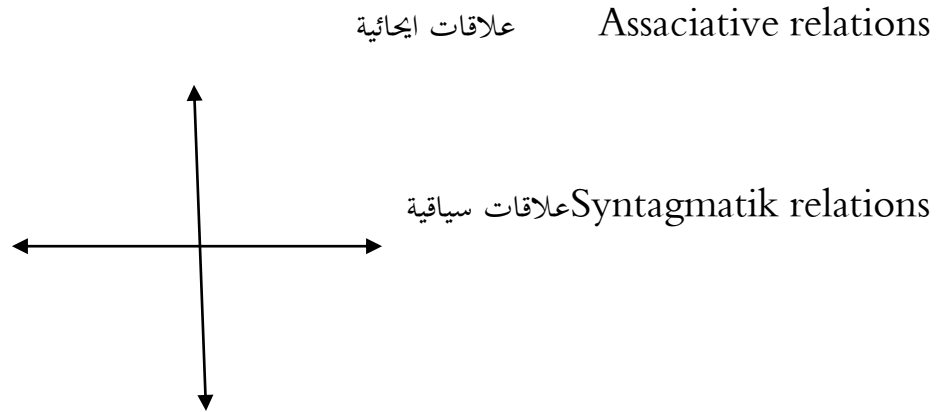
يعد كتاب "فرديناند دوسوسير F-de-Saussure" محاضرات في علم اللسان العام الذي ظهر في 1916 فاتحة عهد جديد بالنسبة للدراسات اللسانية بوجه خاص والعلوم الإنسانية بوجه عام حيث عد رائد للدراسات اللغوية الحديثة .

وأذن بظهور ما يعرف "بعلم اللغة الحديث الذي يتخذ الوصف منهجا والبنية اللغوية هدفا وغاية".¹ كما جاء هذا الكتاب بجملة من المبادئ اللغوية العامة التي أصبحت فيما بعد ركائز أساسية في البحث اللغوي. "واتخذت هذه المبادئ شكل ثنائيات أو ثلاثيات متقابلة، أو متكاملة أو متقاطعة،... من مثل ثنائية اللغة والكلام، والتاريخي والأني، والسياسي والايحائي... والفرق بين الدال والمدلول وعلاقة كل منها بالآخر، وبالخارج.² كما تعد العلاقات اللغوية من أهم الشواغل التي اتخذت مساحة في مقولات دي سوسير التي سعى من خلالها للكشف عن عمل اللغة، وكيف تتحكم في سير عملها ، ومنه وصل إلى القول "بالترابطات السياقية والايحائية".³ التي يعبر عنها في علم اللغة بالتقاطع الشهير ذي المحورين الرأسي والأفقي.

1-محمد حناش: البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، المغرب ط 1، 1980، ص101.

2- بتصرف ،صلاح فضل: النظرية البنائية في النقد الادبي، دار الشروق القاهرة مصر، ط 1، 1998، ص26.

3-المرجع نفسه: ص25.



مخطط رقم 3: يمثل تقاطع محوري العلاقات السياقية والإيحائية.

وهذا التقاطع يمثل شكل الترابط العلائقي في اللغة ، يقول دوسوسير¹: إن العلاقات و الاختلافات القائمة بين عناصر اللغة تدور في نطاق دائرتين متميزتين تولد كل منهما نوعا معينا من القيم ،... والتقابل بين هاذين النوعين يزيد في تباين طبيعة كل منهما، فهما يوافقين صورتين من صور نشاطنا الذهني لازمتين معا ، لا غنى لحياة اللغة عنهما.¹

هاتان الدائرتان الموافقتان لصورتين من النشاط الذهني هما دائرة العلاقات السياقية ، ودائرة العلاقات الإيحائية.

فالعلاقة السياقية " : علاقة حضورية تقوم على عنصرين فأكثر ، كليهما متواجد في نفس الوقت ضمن سلسلة العناصر الموجودة بالفعل²

كما أنها تقوم على صفة خطية ، للغة والتي تعني انتفاء النطق بعنصرين معا في نفس الوقت، وتتنظم هذه العناصر الواحد تلو الآخر في سلسلة اللفظ (الكلام).

وهذه الفكرة تعد أساسية لسياق النص، على النحو الذي يعني الأفادة من الملفوظ بشكل متتابع في فهمه؛ ولذلك يرى دوسوسير أن "مفهوم السياق لا ينطبق على الكلمات فردا فحسب ، وإنما على مجموعات من

1- فرديناند دوسوسير: دروس في الألسنية العامة، تر صلاح القرمادي ، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس ط 1، 1985، ص186.

2- المرجع نفسه: ص187-188.

الكلمات والوحدات المركبة مهما بلغت من طول والتنوع كالكلمات والمشتقات ، وأجزاء الجمل، والجمل الكاملة.¹

أما العلاقة اللاحائية فتجمع بين عدد من العناصر بصورة غيايية لوجود لها ألى فى الذهن ضمن سلسلة وهمية موجودة بالقوة مجالها الذاكرة.²

وهذه العلاقات تتكون عن طريق "الربط بين عناصرها ذهنيًا، لا يقتصر فيها الإنسان على التقريب بين العناصر التي تشترك فى بعض الخصائص، بل يدرك بالإضافة الى ذلك طبيعة العلاقات التي تربط بينها فى كل حالة من الحالات؛ فينشئ بذلك عددا من السلاسل الترابطية يوافق عددا من العلاقات المختلفة.³

وقد طرح فى هذا السياق مثال عن عناصر تشترك فى بعض الخصائص (تعليم - تعلم - علم) ، لذا يرى أنه من الواجب " أن نسند جميع أنماط السياقات التي تساغ على منوال صيغ مطردة إلى اللغة لا إلى اللفظ.⁴ وهنا نجد "دوسوسير" يفرق بين نوعين من السياقات وهي :

- السياقات المطردة التي تصاغ على نحو غير قابل للتغير مثل (لفظ أنفاسه) فهذه سياقات مجردة تنتمي الى اللغة.

- السياقات الحرة التأليف فالى الكلام انتمائها. يرى دوسوسير " بأنه يجب أن نعترف بأنه لا وجود فى ميدان السياق لحد فاصل فصلا مطلقا بين الحدث المنتمي الى اللغة الذي هو علامة من علامات الاستعمال الجماعي ، والحدث المنتمي الى اللفظ (الكلام) الخاضع لحرية الفرد ، ويعسر علينا فى عدد كبير من الحالات أن ندرج توليفة ما من الوحدات فى هذا الصنف أو ذاك ، وذلك لأن كلا العاملين (الجماعي والفردى) وقد ساهم فى إنشائهما مساهمة يستحيل تحديد نسبتها.⁵

وخلاصة فكرة دوسوسير عن السياق و قيمته تظهر فى كونه يرى أن الكلمة إذا وقعت فى سياق ما ، لا تكتسب قيمتها الا بفضل مقابلتها لما هو سابق ، ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا.

1- فرديناند دي سوسير: دروس فى الألسنية العامة، ص187.

2- المرجع نفسه: ص187.

3- المرجع نفسه: ص189-190.

4- المرجع نفسه: ص188-189.

5- المرجع نفسه: ص186.

-فيندرس والسياق:

كان جورج فيندرس G-vendryes من أبرز علماء اللغة الفرنسيين الذين أولو السياق أهمية كبرى، وقد أشار إلى هذه الفكرة عندما تحدث عن المشترك في اللغة ، وأن السياق يمنع تعدد المعاني أو الوظائف ، بحيث يشكل دائما العامل الحاسم الذي يحدد المعنى المراد من اللفظ المشترك حيث يرى "أننا حين نقول بأن لأحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا للإنخداع إلى حد ما ؛ إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقا".¹

ومع أن فيندرس يرى أن المعجم لا يسجل إلا المعنى الأساسي الذي يطغى على ما عداه ، إلا أن الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات ؛ إنما هو السياق ، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا ، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها ؛ والسياق أيضا هو الذي يلخص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، وهو يخلق لها قيمة حضورية.

يقول فيندرس موضحا أهمية السياق "تزود كل كلمة لحضة استعمالها تزويدا تاما بقيمة وقتية تبعد جميع القيم الناتجة من الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها الكلمة".² وبذلك فهو يرمي إلى أن السياق الذي يحدد سياق الكلمة هو سياق ذهني ، ومن ثم ينتهي إلى اللغة لا إلى الكلام ، فيقول " : الكلمة ليست منعزلة ، بل مسجلة في الذهن مع كل حالات السياق التي سبق أن أدخلتها فيها ، ومع كل الإرتباطات التي تصلح لإشتراك فيها".³

و ما نصل إليه هنا هو أن السياق عند "دوسوسير" و "فيندرس" لا يتجاوز العلاقات النظامية والمعجمية في المتوالية الملفوظة المتسمة بالخطية (النص) وبمعنى آخر إن السياق عندهما هو السياق اللغوي.

1-جورج فيندريس: اللغة ، تر عبد الحميد الروخلى ، محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، د ط، 1950. ص228.

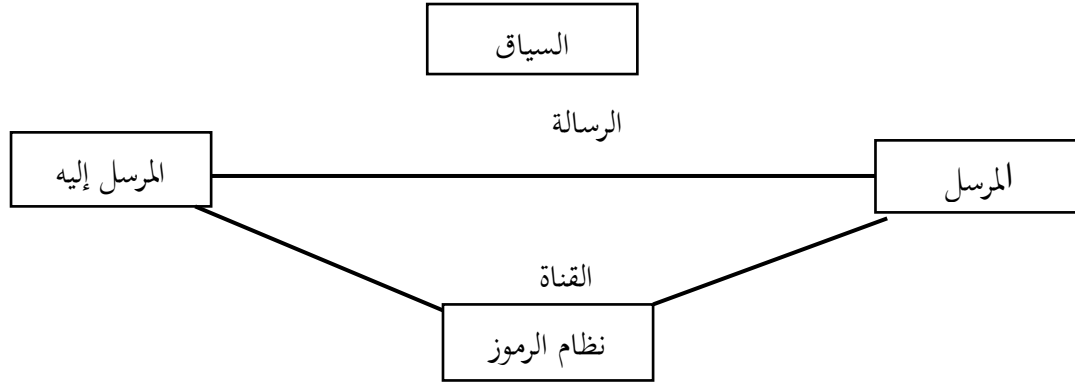
2-المرجع نفسه ص:231.

3-المرجع نفسه ص:232.

ولذا عده "بلومفيلد" مظهر من مظاهر الإستعمال اللغوي غير قابل لتجديد.¹

- جاكبسون والوظيفة السياقية :

يعد كتاب جاكبسون R-jakobson "أصول في اللسانيات العامة" من بين العديد من الكتب التي إنطلقت من وظائف اللغة لتحديد ماهية السياق حيث نجد "جاكبسون في كتابه قد وضع مخطط للاتصال أوالتخاطب والموضح في الشكل التالي:



المخطط رقم4: يوضح عملية الاتصال والتخاطب.2.

حيث يرى أن اللغة وظيفة بإيزاء كل عنصر من العناصر الموضحة بالشكل أي بإيزاء كل عنصر من عناصر الاتصال.

والذي يدعو للإشارة إلى مخطط "جاكبسون" هو السياق حيث ذهب إلى أن اللغة وظيفة مرجعية بالنظر إلى السياق، وهذا الأمر من الأهمية بمكان إذا أردنا أن نحدد مفهوم السياق ؛ ذلك أننا نرى أن المعنيين بالسياق في التفسير الدلالي ، إنما يعتبرونه لقيمتهم المرجعية ، وهنا تكون اللغة ذات وظيفة مرجعية بالنظر الى سياق التخاطب ، هذا على أن لكل عنصر من عناصر الاتصال في المخطط وظيفة تؤديها اللغة على نحو يكون فيه المخطط الوظيفي للمخطط الاتصالي كما يلي:

1- سعيد حسن بحيري :علم لغة النص -المفاهيم والاتجاهات-ص19.

2-رومان جاكبسون :قضايا الشعرية ،تر محمد الوالي،مبارك حنوز،دار توبقال الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1988ص27 .

المخطط رقم 5: يوضح وظائف اللغة 1.

الوظيفة المرجعية

الوظيفة الشعرية

الوظيفة التعبيرية _____ الوظيفة اللفظية

الوظيفة الانتباهية

الوظيفة ما وراء اللغة

وهنا يجب طرح التساؤل التالي :

هل السياق مرجع للغة أو اللغة مرجع للسياق؟.

لأن الذي يفهم من مخطط جاكسون أن اللغة وظيفة بإزاء أي عنصر من عناصر الإتصال الستة ،وعلى هذا يكون للسياق وظيفة لغوية تؤديها اللغة ، وحين تكون المرجعية التي هي وظيفة السياق في مخطط جاكسون ، ووظيفة اللغة في الآن ذاته ، لا يكون المراد بهذه الوظيفة أكثر من "الإحالة على الأشياء و الموجودات التي تتحدث عنها ، وتقوم اللغة بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات و الأحداث المبلغة".²

وهنا نصل الى الكشف عن مدى إمكانية أن يحيل " الموقف " بأشياءه وموجوداته في السياق اذا اعتبرنا الأشياء والموجودات مثل الموضوع زائدا عليه محيط الموضوع أوالتخاطب، هذا من جانب حيث تصبح اللغة حينئذ بإزاء هذا السياق ذات وظيفة توضيحية له، فتكون مرجعا له لأنها تحويه، ويكون مرجعا لها، لأن ما يعتمد فيه عليه من حيث هو موقف لا يلفظ به، فتتبادل المرجعية بينهما على نحو يكون فيه الموقف مرجعية مطلوبة في حالات الغموض وعدم الوضوح تبعا لظروف المحيطة بالقناة من ضوضاء ، أو تداخل فونيمي أو غرلة لفظية تحدث نوعا من البطء في الفهم لو اعتمدنا على سياق النص وحده دون الاتكال على سياق الموقف بأشياءه و موجوداته ، وأحوال المتكلم والسامع خلال حدث الاتصال.

وبهذا التفسير للسياق نقرب من مقولات بلومفيلد عن السياق ذلك أننا جعلنا للسياق بالنظر للمتكلم وظيفة

1- محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 17.

2- عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، دار العربية للكتاب، ط 3، دت، ص 159.

ميكانيكية ، حيث تتم الوظيفة الميكانيكية للسياق على نحو آلي ؛ وهو ما يشير إليه "أرنو" في توضيحه للعلاقة بين المرسل والمستقبل ، حين يقول : "تنبه فكرة الشيء فكرة الصوت وتحثها وكذلك فكرة الصوت تحث فكرة الشيء وتنبهها".¹

- بلومفيلد والسياق :

يذهب ليونارد بلومفيلد L-Bloomfield إلى أن "تحديد المعنى يشكل نقطة الضعف في دراسة اللغة، وأن الامر سيظل كذلك ما لم تتقدم معارفنا عما هي عليه الآن".²

ومن هنا نجد أن صعوبة البحث كانت وراء ما ذهب إليه "بلومفيلد" من أن المعنى لا يدخل تحت الوصف اللساني ، وذلك أن المعارف الإنسانية وحدها لا تقدم تفسيراً لغوياً أو غير لغوي مقبولا من وجهة النظر اللغوية فبرغم استخدامها (المعنى - القصد - المراد) إلا أننا لا نلمس حقيقة المعنى اللغوي متحدين في الأداء وذلك لأن المعنى، كامن في أصغر الدوال وهو الوحدة الصوتية phoneme الذي يعرفه "بلومفيلد" بأنه "وحدة ذات طابع صوتي متميز يؤدي إستعمالها إلى التفريق في المعنى".³

كما يعرف الصيغة اللغوية بأنها "الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه ، والاستجابة التي تستدعيها من السامع".⁴ وأن المعنى هو ما يثيره الرمز اللغوي من استجابة عند السامع.

أما المعنى عند "بلومفيلد" فقد حدده بالمر في كتابه علم الدلالة بأنها الربط بين الكلام في (R...S) والأحداث العملية (R-S) التي تسبقه وتتلوه.

وقد كان هذا بعد المثال الذي ضربه "بلومفيلد" لتوضيح الميكانيكية الكاشفة عن المعنى في نظره هو "جيل جائعة وترى تفاحة فتطلب من جاك أن يحضرها".⁵

1- صالح الكشوش: مدخل في اللسانيات، الدار العربية للكتاب، دط، 1985، ص47..

2- جورج موان: علم اللغة في القرن العشرين، تر غزاوي نجيب، سلسلة الكتب العلمية وزارة التعليم العالي، دمشق، دط، 1982، ص12.

3- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب ، القاهرة، ط1، 1998، ص61.

4- المرجع نفسه : ص61.

5- بالمر: علم الدلالة، تر مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، دط، 1985، ص82.

المخطط رقم 6: يبين الميكانيكية الكاشفة عند بلومفيلد.

S _____ r S _____ R

استجابة غير لغوية مثير لغوي استجابة غير لغوية مثير لغوي (الجوع)

من جاك عند جاك من جيل تتحول الى مثير لغوي عند جاك

كما يرى السعران أنه إذا حللنا هذه الواقعة وجدناها تنقسم الى ثلاثة أقسام:

"1- الأحداث العملية السابقة على الحدث الكلامي (المثير وهو شعور جيل بالجوع ورئيتها التفاحة).

2- الكلام (رد فعل لغوي وهو طلب احضار التفاحة من جاك)

3- الأحداث العملية اليتي تلي الحدث الكلامي (الاستجابة وهي احضار التفاحة)."

ورغم بساطة التفسير الذي ينطلق من فكرة المثير والاستجابة بشكل ميكانيكي وسهل ، إلا أن ذلك لا يكون سييلا دائما يمكن من تفسير المعنى وهذا يظهر في مواقف الاتصال التي تتسم بنفعية مباشرة (الدعاء والعبادة والمناجاة) نجد بلومفيلد يقدم تعريفا شكليا لدلالة تركيب لغوي بأنه "يشمل الموقف الذي يتحدث المتكلم من خلاله وكذلك الرد الذي يثيره لدى المستمع." 3

ويقول نايف خرما: "إن المعنى عند بلومفيلد هو؛ الموقف أو المقام الذي يقوم فيه المتكلم بقوله كلمة أو جملة ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها ذلك من المستمع." 4

ومن هنا نجد أن "بلومفيلد" لم يكن بعيدا عن فكرة السياق بشكل عام ، وبخاصة سياق الموقف.

1- بالمر: علم الدلالة، ص 82

2- محمود السعران: علم اللغة ، دار الفكر العربي، ط 1، 1997، ص 248

3- جورج مونا: علم اللغة في القرن العشرين، ص 121.

4- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، دط، 1978، ص 321.

- مالمينو فسكي والسياق:

يعد برونسلو مالمينوفسكي B-Malinowsky من أبرز الأنثربولوجيين الذين أمدوا علم اللغة بأبعاد إنسانية واجتماعية فائقة الأهمية والتي تركت أثرا كبيرا فيمن جاء بعده من لغويين وأنثربولوجيين أمثال "فيرث" و"جسبرسن" و"جارير" و أكثر ما يشدد عليه هذا العالم هو أن فهم اللغة يحتاج إلى مساهمات من فروع علمية عديدة ، لا سيما من علم الاجتماع والأنثربولوجيا الذي يمدنا بفهم أعمق لطبيعة الإنسان والثقافة فلا سبيل للفهم الصحيح للبناء اللغوي ما لم يفهم هذا الإنسان الناطق بهذه اللغة ، فضلا عن الإحاطة بالظروف التي تكتنف كلامه ، فإن معنى أي لفظة يعتمد اعتمادا كبيرا على السياق الذي وردت فيه، وهنا نجد علي عزت يشرح السياق عند مالمينو فيسكي بقوله: "وجد مالمينو فسكي نفسه أمام عدد من المشاكل اللغوية التي لا يجد تفسيرها لها في لغة جزر التروبرياندا مما جعله يربط بين كثير من العبارات والتعبيرات التي صعب عليه تفسيرها ترادفيا ، فحاول ربطها بالمواقف التي قيلت فيها ، وبنوع النشاط السكاني الذي يصاحب أو تصاحبه التعبيرات ، وعبر نظرية سياق الموقف التي وجدها حلا مناسباً لهذه الصعوبات التي يواجهها".¹

كما وجدت أن "مالمينوفسكي" في إطار حديثه عن أهمية اللغة يشير إلى دور السياق وذلك لأن "اللغة ليست مجرد أداة لتواصل الأفكار، بل هي في المكان الأول جزء من نشاط اجتماعي متسق، وفي اللحظة التي تفصل فيها الكلمة عن سياق هذا النشاط الذي يغلفها ، أو عن سياق الموقف الذي تستخدم فيه تصبح كلمة جوفاء غير ذات مغزى ، لأن الألفاظ لا يمكن أن توجد في الفراغ".² ويذهب كذلك إلى مدى أبعد من ذلك في تحديد أثر السياق الخارجي في أداء اللغة لوظيفتها وذلك كون "اللغة في جوهرها متصلة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة ، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالرجوع الدائم إلى المحيط الأوسع ؛ وهو الظروف التي يتم فيها النطق".³

ومنه توصل إلى أن الكلام والموقف مترابطان ببعضهما ارتباط لا ينفصم ، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ.

1- بتصرف، علي عزت: اللغة ونظرية السياق، منشورات مجلة الفكر المعاصر، ع76، يوليو 1971 ص19-20.

2- المرجع نفسه: ص19.

3- صلاح الدين زروال: الظاهرة الدلالية- عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، العربية للعلوم منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص396.

ولقد تركت نظرية "مالينو فسكي" صدى واسعا ومختلفا بين التأييد والنقد عند من جاء بعده، ولعل أهم أوجه الانتقاد التي وجهت إلى هذه النظرية هي:

1- أن النظرية لا توفر الأسس لأي نظرية دلالية علمية.

2- أن النظرية لا تقدم الطرق التي يمكن بها تناول السياق بأسلوب منظم كي يفيد معنى.

3- أن مالينو فسكي كان ينظر إلى اللغات البدائية على أنها مختلفة عن اللغات الأخرى الأكثر حضارة، وهو مالا يراه اللغويين مسلما به، وإن اختلفت الحاجات التعبيرية من لغة إلى أخرى بصرف النظر عن رقيها وبدائيتها.¹

3-2- نظرية السياق عند فيرث:

يعد العالم الإنجليزي المعروف فيرث J-R-Firth زعيم الاتجاه المعتمد على نظرية السياق في الدرس اللغوي ، والتي تعتبر الإسهام الحقيقي للغويين الإنجليز في مقابل الإسهامات الأوروبية والأمريكية الأخرى وخطوة مهمة ومتقدمة في عالم الدرس اللغوي ، وقد كانت نقطة الانطلاق الحقيقية لـ "فيرث" في الإفادة من جهود "مالينوفسكي" رغم أن نظريته لسياق كانت مختلفة إلى حد كبير "لأن كل من مالينوفسكي وفيرث يستخدمان هذه النظرية بطريقة مختلفة ، ويرجع هذا بالضرورة إلى أن "مالينوفسكي" كان عالما أنثربولوجيا، أفضت به دراساته للأجناس البشرية إلى اهتمامه العارض باللغة ، بينما كان "فيرث" عالما لغويا مهتما بالثقافة الإنسانية بالدرجة التي تعينه على تكوين نظرية لغوية.²

ومنه سياق الموقف عند "مالينوفسكي" يتمثل في الملامح الواقعية الفعلية التي تربط البيئة والثقافة والطبيعة التي حدد فيها الموقف بينما نجد "فيرث" قد قدم السياق على أنه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية.³ أو هو كما يرى بالمر "جزء من أدوات العالم اللغة مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها".⁴

ولعل الذي قاد "فيرث" إلى تبني فكرة السياق ومحاولة تأطيره ، أو جعله أكثر منهجية وأكثر تجريدا مثل ما هي عليه المسائل اللغوية الأخرى أنه كان ينظر إلى دراسة اللغة دراسة دلالية للمعاني ، ولذلك إتهم بالغموض في

1 - بالمر: علم الدلالة، 85-86.

2- علي عزت: اللغة ونظرية السياق، ص 23.

3- المرجع نفسه، ص 23.

4- بالمر: علم الدلالة، ص 77.

استخدامه لكلمة معنى؛ "لأنه في حين أن سياق الحال قد يعالج المعنى بالمفهوم المعتاد (أي المفهوم الدلالي) ، فمن الواضح أن المستويات الأخرى ليست معنية بالمعنى بالمفهوم نفسه".¹

كما أن نظرية "فيرث" حول سياق الموقف برغم أهميتها ووضوحها في ذاتها صعبة التطبيق لاختلاف وتعدد المواقف ، مما يؤدي إلى وصفها بأنها نظرية دلالية ناجحة لكنها غير عملية ، ومع ذلك فإن بعض اللغويين أمثال بالمر رغم نقده لهذه النظرية إلا أنه يعتقد بها ، من حيث ميزتان قدمتهما هذه النظرية للدرس اللغوي احدهما "أن من السهل أن نسخر من النظريات السياقية مثلما فعل بعض العلماء ، وأن نرفضها باعتبارها غير عملية ، لكن من الصعب أن نرى كيف يمكننا أن نرفضها دون إنكار الحقيقة الواضحة التي تقول بأن معنى الجمل يرتبط بعالم التطبيق".² والآخر: أن فيرث على حد قول أولمان: "يجعل المعنى سهل الانتقاء للملاحظة والتحليل الموضوعي." والسهولة الموضوعية في تناول المعنى الى أمرين:

"1- أن فيرث لم يخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة ، فنجا من النقد الموجه إلى الاتجاهات الاشارية والتصويرية والسلوكية التي قال بها "أوجدن" و "ريتشاردز" و "بلومفيلد"، وأن فيرث حاول أن يكون المنهج "أي أن يدرس العلاقات داخل اللغة.

ب- البعد عن فحص الحالات العقلية الداخلة التي يصعب تفسيرها، ومعالجة الكلمات باعتبارها أحداثا وأفعالا وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بنا".³

وهاتين الميزتين تقومون على دراسة اللغة وفق العلاقات الداخلية من جهة وربطها بحياة الجماعة ، وهما من أهم النتائج التي يقصدها علم اللغة الحديث ، بوصفها علما وصفيا لا معياريا ، وبوصفه علما ينظر في الوظيفة اللغوية من جهة أخرى.

وقد لخص صلاح الدين زروال أهداف النظرية السياقية فيما يلي:

"- معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها.

1 - بالمر: علم الدلالة، ص78.

2 - المرجع نفسه: ص80.

3 - أحمد مختار: علم الدلالة، ص73.

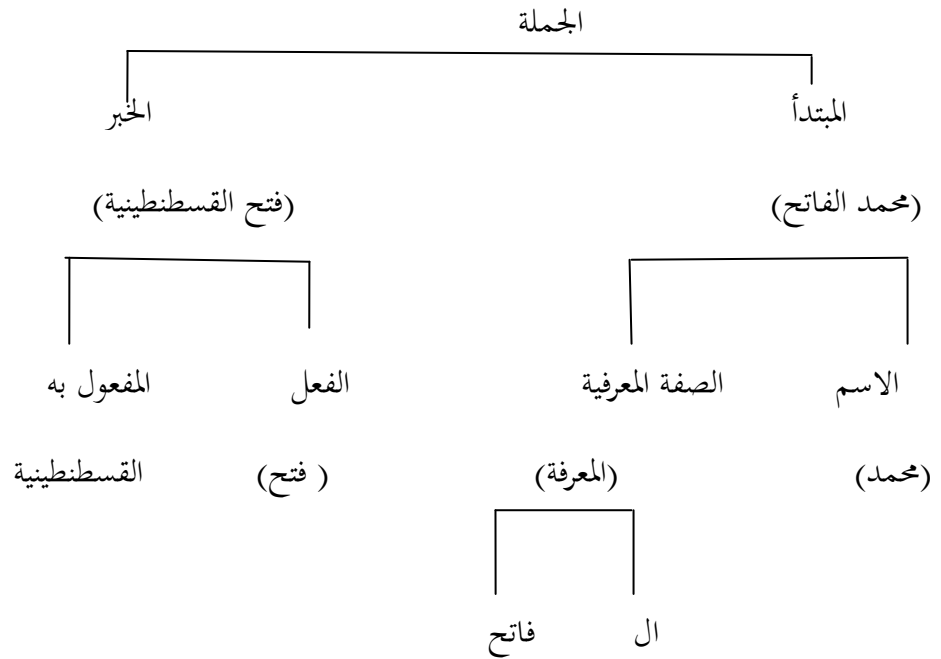
- وصف الإستعمال الفعلي لنطق معين في موقفه الخاص بإعتباره شيئا فريدا.
- معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن ارجاعها إلى التركيبات النحوية.
- إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الكلام.
- وجوب تحديد بيئة الكلام ؛ لأن هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى.
- يجب تحليل الكلام إلى عناصره ووحداته الداخلية المكونة له ، والكشف عما بينها من علاقات داخلية ، لكي نصل إلى المعنى.¹

1-صلاح الدين زروال:الظاهرة الدلالية-عند علماء العربية القدامى في نهاية القرن الرابع هجري-،ص 381،

3-3- السياق بعد فيرث:

-السياق عند التحويلين:

كان كتاب البنى النحوية لمؤلفه "تشومسكي" الذي ظهر في أمريكا بداية تحول في النظرية اللغوية الحديثة ، ومؤذنا بإتجاه جديد في الدرس اللغوي بعد أن كان سائد في أمريكا تحليل الجملة إلى المكونات المباشرة (Analysis Immediate constituent) "في شكل طبقي بعضه أكبر من بعض ، إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها ، الأولية من الكلمات وحتى المورفيمات"،¹ فجملة مثل "محمد الفاتح فتح القسطنطينية" تكون طبقيتها كما هو موضح في الشكل التالي:



مخطط رقم 6: يبين تحليل الجملة الى عناصر أولية من الكلمات والمورفيمات.²

وميزة هذا التحليل أنه يبين العلاقات التي تقوم بين كل من الأجزاء الكبيرة ثم الأصغر منها ثم الصغرى بعضها ببعض.

1-نايف خرما:أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،ص29.

2-المرجع نفسه:ص29.

كما ابتدع "تشومسكي" نظرية لغوية عرفت بنظرية النحو التحويلي قدم خلالها أسلوبا مختلفا، عرف بتحليل تركيب الضمائم والذي يهدف إلى الكشف عن قواعد بني الضمائم للوصول إلى بنية الجملة ، وظل "تشومسكي" يطورها في كتبه اللاحقة ، وخلال ذلك قدم جملة من المبادئ اللغوية العامة ، مثل القدرة اللغوية ، والأداء ، "إضافة إلى تركيزه على الجملة بإعتبارها الوحدة اللغوية الأساسية في التحليل اللغوي".¹

وهو الأمر الذي دعاه إلى القول بأن القدرة اللغوية للإنسان تجعله قادرا-عن طريق قواعد اللغة-على توليد جميع الجمل الصحيحة في لغته والحكم بصحة الجمل التي ينتجها ، أو يسمعوها وفق معيار النحوية

"Grammatical" ² وبشكل يسم اللغة الإنسانية الإبداعية Creativity ³ أي القدرة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير من الجمل التي لم يسمعوها قط ، ولم ينطق بها أحد من قبل.

و وفق "تشومسكي" في وضع طريقة تحليلية للجملة اعتماد على فكريتي القدرة والأداء، من خلال جعل للجملة بنيتان احدهما عميقة ؛ وهي كامنة في العقل،والأخرى سطحية ،وهي تقابل الأداء المشتغل على التمثيل الصوتي الملفوظ.

"كما وفق في إدخال عنصر المعنى إلى التحليل الذي وضعه ، وجعل البنية العميقة تعبر عن المعنى".⁴

فبعد أن كان يرى أن نظام القواعد النحوية الذي يهدف إليه البحث اللغوي لا بد أن تكون فيه القواعد محددة ،وقادرة على توليد جميع الجمل الممكنة ، ومتصفة بالشكلية والإستقلال عن المعنى.

وما يهمنا هنا هو أن البنية العميقة والبنية السطحية مجموعة من العمليات التحويلية وفق قواعد تسمى (قواعد

التحويل Rules Transformational).⁵

وهي تتضمن في شكلها المطور الذي ظهر في كتابه " مظاهر النظرية النحوية " قدرا من الاهتمام بالجوانب الدلالية بإدخاله عنصر المعنى ، وفي نموذج التحليل بتأثير من النقد الذي واجهته النظرية في شكلها الأول ، ليصبح

1-نايف خرما:أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،ص30.

2-عبد الله الراجحي:النحو العربي والدرس الحديث،دار النهضة العربية للطباعة بيروت،دط،1979،ص116.

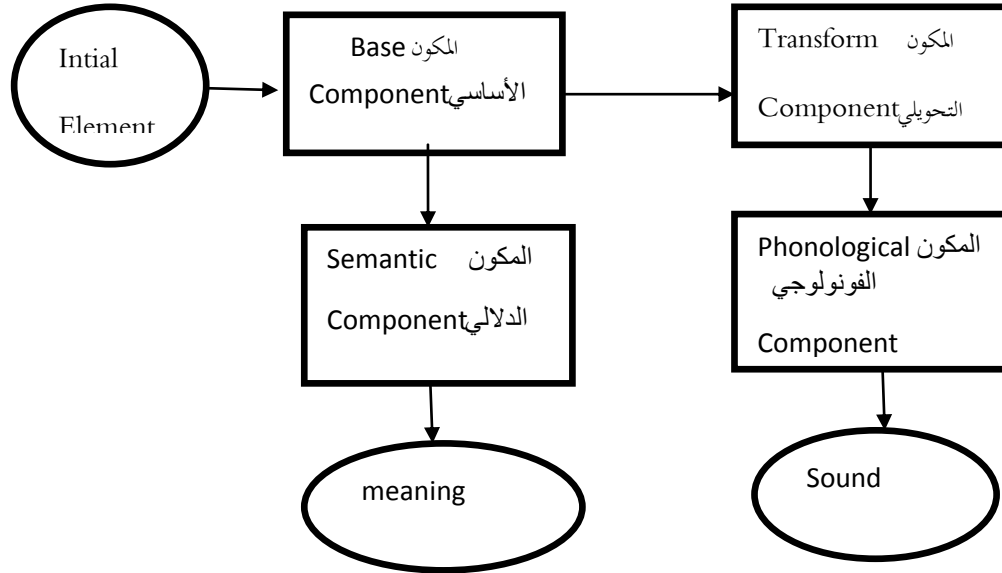
3-جون ليونز:نظرية تشومسكي اللغوية،تر حلمي خليل،دار المعرفة الجامعية،ط1،1985

4-عبد الله الراجحي:النحو العربي والدرس الحديث،ص113.

5-نايف خرما :أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،ص118.

المخطط التحليلي لمكونات الجملة كما يلي :

مخطط رقم 7: يوضح تحليل تشومسكي للجملة 1.



وهذا الإدخال لعنصر المعنى في التحليل عند "تشومسكي" قاد إلى ما يشبه فكرة الرصف، وإن كان بعمق أكبر من حيث أنه لا يقف عند حدود الترابط المعجمي فقد ، بل يشتمل الترابط النحوي، تبعا لمفهوم العام الذي يقدمه "تشومسكي" من دمج واضح لكل مستويات الدرس اللغوي في شكل يتدرج من البنية العميقة إلى البنية السطحية ، التي تعتبر مدخلا للتحليل وفق هذه النظرية من جهة ، وكاشفا عن بعض القواعد والقيود السياقية التي تتحكم فيما يظهر في السطح بواسطة التمثيل الصوتي ، ومن ذلك مثلا القواعد الحرة في السياق "Context Free grammar". 2

والقواعد المقيدة في السياق "Contexte Sensitive grammar" ، إضافة إلى أن النظرية التوليدية

الدلالية التي قال بها "كاتز" و"فودر" أدخلت في النظرية التحويلية ما يسمى "قيود التوارد".

"3"Selection Restrictions"

1- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص 158.

2- المرجع نفسه: 132.

3- المرجع نفسه: 132.

وقيود التوارد هذه من أهم ما في النظرية التحويلية من اعتماد على السياق اللغوي بوصفه مجموعة من العلاقات المعجمية والنحوية ؛ إذ يعني التحويليين بالإختيارالمقيد:"التناسب الدلالي بين ألفاظ العبارة ، فالفعل لا بد أن يتناسب مع الاسم الذي يصاحبه أي الفاعل، والمبتدا."1

وعليه أوضحت النظرية التحويلية تخضع صحة الجملة لشقين من معيارالمقبولية"Acceptability"

أحدهما له علاقة بالصحة النحوية والآخر له علاقة بالصحة الدلالية.إن مراعات قيود التوارد الذي يقول به التحويليين ، والرصف الذي يقول به السياقيين ترجع جذورها الأولى الى نظرية الحقل الدلالي الذي ظهرت بواره الأولى منذ مطلع القرن على "يد إسبن" Ispen ، واكتسبت صفة النظريةعلى يد الألماني "ترير" سنة 1934.

وفي نفس العام تقريبا ظهر لغوي آخر هو "بروتسج" Prozig "عام 1934، والذي أقر ،"أهمية العلاقات التلائمية القائمة مثلا بين بعض وأسنان،وينبح والكلب،وأشقر شعر."2

ولكني أرى أن التشابه بين قيود التوارد والرصف واضح لكن الهدف مختلف ، فالنظرية السياقية تهدف إلى المعنى اعتمادا على النص بعناصره التلائمية ، وبمساعدة الموقف الخارجي الذي يحيل إلى عناصر تجريدية في سياق نظرية وصفية بحتة ، يختلف عن الهدف الذي أصبحت عليه العلاقات التلائمية المنبثقة بمحملها من المستوى العميق في النظرية التحويلية ، التي تعد أكثر معيارية وترمي إلى تجاوز مجرد الرصف والتحليل إلى الكشف عن جوانب الكفاءة والقدرة وهما أمران يرتبطان بالعقل.

ولعل هذه المعيارية وتلك العقلانية تصوغ قول بعض اللغويين الذين يشيرون في دراساتهم إلى أن التحويليين يهتمون بالمعنى ويعدونه عنصرا أساسيا في تحليل الجملة ، ولكن ذلك"من خلال اللغة نفسها؛ أي بغض النظر عن الموقف أو المقام الذي تقال فيه تلك الجمل؛لأن هذا العنصر يضيف صعوبة إضافية لمنهج التحليل اللغوي المنظم،وهو عنصر تصعب دراسته بشكل عملي ، ولذلك فإن دراسته تترك لفئة من علماء اللغة هم الباحثون في الجانب الاجتماعي منها ؛ أي فيما أصبح يسمى الآن علم اللغة الاجتماعي."3

"وهي تقوم في سعي نحو الكلية (العالمية) "Universals" على مجموعة من المفاهيم عما يدور حول الإنسان.

1-محمد حماسة عبد اللطيف:النحو الدلالي-مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي- ،ص96

2-بالمر:علم الدلالة ص87.

3-نايف خرما:أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،ص322.

من أحداث كمعرفة ما يقوم به ، ومن يقع عليه حدث ما ، الذي حدث ، ومتى وقع ذلك الحدث وأين...¹ ومن تلك المفاهيم ، "الزمان والعدد والكمية والمكان والعلاقات المعنوية كالمنطقية ، الفاعل المفعول ، والباعث على العمل ، والمستفيد والأداة... إضافة إلى السياق الكلامي والمقام بعناصر مختلفة...² وفي الأخير أرى أن كل هذه المفاهيم قد انطلقت من مضمون الكلام الذي مهما اختلف شكله تقدما وتأخيرا وحذفا وإضافة يبقى المعنى عائدا إليه.

-نظرية أفعال الكلام:

ينطلق اللغويين في بحثهم عن العلاقة بين اللغة والمجتمع من مقولات " ماليونفسكي " خاصة قوله: "إن اللغة في استخداماتها البدائية تقوم بدور حلقة في سلسلة من الأنشطة المتآلفة بإعتبارها جزءا من السلوك الإنساني ، فهي وسيلة من وسائل الفعل، وليست أداة للتأمل.³

ومن هذه الوظيفة اللغوية ظهرت نظرية أفعال الكلام على يد الفيلسوف الإنجليزي "جون لانجشو أستن" John lang show austen في محاضرات ألقاها في جامعة هارفرد عام 1955 ونشرت بعد وفاته بعنوان "كيف نفعل الأشياء بالكلمات" ، والفكرة الأساس عند أستن هي "أن دراسة المعنى يجب أن تبتعد عن التراكيب الجوفاء مثل (الجليد أبيض)، بمعزل عن سياقها ؛ لأن اللغة عادتاً تستخدم داخل سياق الكلام لتأدية كثير من الوظائف، فعندما نتكلم فإننا نقدم إقتراحات ، ونبدل وعوداً، ونوجه دعوات ، ونبدي مطالب ، ونذكر محضورات ، وما إلى ذلك ، وبالطبع فإننا نستخدم الكلام ذاته في بعض الحالات لتأدية فعل بعينه ، وخاصة عندما يصبح الكلام هو الفعل ذاته ، فهناك على سبيل المثال، العبارات التالية : (لقد أطلقت على هذه السفينة اسم سوسي سو) وهي عبارة يجب إستخدامها حتى تتم تسمية هذه السفينة.⁴

إن أستن من خلال هذه المقولة يرى أن يدرس المعنى من خلال الكلام (على مذهب فلاسفة أكسفورد) ، بالنظر إلى الوظيفة الأدائية للكلام Performative Function Of Speech التي تنطلق من كون الفعل

1 - نايف خرما:أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص309.

2 - بتصرف، المرجع نفسه:ص311.

3-هدسون:علم اللغة الاجتماعي،تر محمد عياد ،عالم الكتب ،القاهرة، ط1990، ص172.

4-المرجع نفسه :ص133.

الكلامي "ما هو إلا جزء من الكلام المستخدم في التعامل الاجتماعي".¹ لأن هناك عدد كبير من العبارات المنطوقة لا يخبر ولا يعرض أي شيء ، وبناء على هذا فهو ليس صادقا ولا كاذبا ، ولكن النطق بالجملة هو حدث اوجزه من حدث ، وهنا نجد أستن يفرق بين نوعين من الجمل والمنطوقات وهي :

"-المنطوق التقريري:(Constative Utterance) .

-المنطوق الأدائي:(Performative Utterance)".²

وظيفة النوع الأول تقرير أو تصوير العالم الخارجي ، أما الآخر(المنطوق الأدائي) فبرغم أنه يشابه الأول في بنيته اللغوية ، إلا أن وظيفته تختلف عن النوع الأول،ذلك أن هذا النوع لا يقوم بوصف أو تقرير العالم الخارجي، وإنما ينجز فعلا أو شيئا ما، يقول "أوستن": "إني أتخذ هذه المرأة لتكون لي زوجة شرعية-في ظروف ملائمة-فاني لا أكتب تقريرا عن الزواج وإنما أنغمس في الزواج من قمة الرأس إلى أخمص القدم".³

وهنا نجد "أستن" يركز على المنطوق الذي يعده ممارسة للفعل ويرى أن مجرد النطق بالفعل يعني إنجازا وذلك إذا قيل في ظروف مناسبة.

وهنا نجد "أستن" يركز على المنطوق الذي يعده ممارسة للفعل ويرى أن مجرد النطق بالفعل يعني إنجازا وذلك إذا قيل في ظروف مناسبة.

وقد سيطرت فكرة الأدائية عند "أستن" حتى أصبح لا ينظر بحدة إلى هذين القسمين على أنهما متمايزان، وإنما محاولة النظر إلى الجمل أو المنطوقات بمعيار الأدائية التي تحققها هذه المنطوقات بالفعل، ولذلك فإن جملة مثل
There is a bull in the field في الحقل ثور

قد تكون تحذيرا، وقد لا تكون، وهي إذا كانت تحذيرا تصبح جملة ليست خبرية (أدائية) ، وقد تكون خبرية فقط (تقريرية).⁴ وعلى هذا الأساس قدم "أستن" مقولات حول الأداءات وكان من أهم ما أشار إليه هو أن هناك مجموعة من الوسائل اللغوية، التي يمكن للمرء أن يستخدمها للكشف عن أدائية منطوق و ما من بين هذه

1- هيدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص173.

2- صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير لطباعة والنشر، دط، 1993، ص381.

3- المرجع نفسه: ص138.

4- بالمر: علم الدلالة، ص212.

الوسائل:

"1- صيغة الفعل: كالصيغة المشهورة للأمر، يقول "أستن": ومن أرجح معاني الأمر كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالة على الوجوب أو الإباحة أو التهديد...، وهكذا عندما أقول (أغلق الباب) فإنه يفهم من السياق معاني متعددة: - (أغلق الباب ، أغلق الباب) يدل هذا التكرار على أنني أمرك بالقيام بالفعل المأمور به، والانشاء دال على الوجوب - (أغلق الباب كما فعل) هنا يكون الأمر مشابها لقولي (انصح لك أن تغلقه) والأمر هنا للارشاد.

- (أغلق الباب اذا أحببت) والأمر هنا للإباحة...1"

2- التشديد على الصوت وإيقاعه وتنغيمه بامالته وغير ذلك من فنون القراءة.

ويقصد طرق الأداء الشفوي من التنغيم والنبر ، وموسيقى الكلام ، حيث يختلف معنى الجملة أو المنطوق باختلاف نغماته والعناية صوتيا ببعض أجزائه دون البعض الآخر.

ويشير "أستن" إلى أن هذه الوسيلة برغم وضوحها في الأداء الشفوي أو الصوتي، إلا أنه يتعذر نقلها الى المكتوب.

3- الظروف وما تركب منها تركيبا إضافيا أو غير إضافي.

حيث يقول في اللغة المكتوبة بوجه خاص- وبعض جوانب الكلام الشفوي- بإضافة بعض الظروف المفردة أو المركبة و لعل المقصود بالظروف هنا ما يفيد بيان نوع الحدث من ناحية وتأكيد حدثه وإحتماليته من ناحية أخرى.

4- أدوات الربط: 4 بين أجزاء المنطوق عبر وسائل ربط أدواته مثل (إذن -بينما- بالرغم) مثل سأنجح بالرغم من كل الظروف حيث يصبح الكلام وعدا قابلا للانجاز.

5- ما يصاحب التلفظ بالكلام ، يقول "أستن": قد يساعد التلفظ بالكلام استخدام حركات، وهذا النوع من

1- أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام- تر عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق، دط، 1991، ص92.

2- المرجع نفسه: ص92.

3- المرجع نفسه: ص93.

4- المرجع نفسه: ص93

التعبير الحركية تستخدم أحيانا بدون أن يحرك الانسان لسانه ، وأهمية هذه الطرق والوسائط واضحة لا تحتاج إلى شرح.¹ وتشمل الغمز بالعين ، وتحريك الأيدي، ورفع الكتف ، وتقطيب للحوارب ، وعبوس وغير ذلك من إشارات.

6-ملايسات وأحوال التلفظ بالعبارات ، وذلك لأن "ظروف النطق بالعبارات هو أهم معين لنا على معرفة الغرض منها....،وهكذا فان العبارتين (سأموت يوما) و(إني أوصي لك بساعتي هذه) إذا صدرتا من مخاطب سليم البنية ،فوقها فان السياق يعمد الى جعل فهمنا مختلفا.²

ومما سبق أرى أن سياق النص يظهر في الوسائل الأربع الأولى ، وهي تشمل المستويات اللغوية المختلفة مما يخص الصيغ المفردة (صيغة الفعل) أو حتى المركبات و الروابط، مما يدخل فيما هو أكبر علاقة من الصيغة ثم التنعيم والتلوين والموسيقى للمنطوقات تبعا لاختلاف معانيها ، أو قصد قائلها ، كما يظهر سياق الموقف بوضوح حين أشار إلى معضدات الكلام من الحركات المصاحبة للمنطوقات ؛مثل حال المتكلم وهيئته بما يكشف غرضه من المنطوق ، مما يمكن معه القول بأن اتساقا يتم فيها بين المنطوقات الأدائية والمواقف التي تقال بشأنها.

وإن يحمل القول في نظرية الأفعال الكلامية يتمحور في الخبر والانشاء وعلاقتهما بالخارج على نحو يشبه إلى حد ما قضايا الخبر والانشاء في البلاغة العربية ،ومطابقة الخبر للخارج فيكون صادقا أو مخالفة له فيكون كاذبا ، أو عدم علاقة الخارج ابتداء و هو الإنشاء، كما أن النظرية مؤسسة على مقولة مالينوفيسكي:"إن اللغة أسلوب عمل وليست فكرة.³

إذن فهي تنطلق من المنطوقات المنجزة في سياقات معينة ، وبطريقة معينة ولذلك تتداخل دلالات المنطوق بين التقرير والأداء وترتبط مباشرة بالموقف الذي تقال فيه لذا" يتوجب علينا في تحليل الأعمال الكلامية أن نحسب حسابا لحقيقة أن الجمل تنطلق ضمن سياقات معينة ، وأن جزءا من معنى نقش الكلام المنطوق يستمد من السياق الذي ينتج فيه، ويتضح هذا تماما في إشارة التعابير المؤشرة التي يشملها السياق.⁴

وإن أهم توصلت إليه بعد إطلاعي على هذه النظرية هو تأكيدها على أن المنطوقات تتحدد دلالتها بالسياق

1- أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام:ص93.

2-المرجع نفسه:ص93. ،

3-بالم: علم الدلالة،ص212.

4-جون لانيز: اللغة والمعنى والسياق،عباس صادق الوهاب،يؤيل عزيز،دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1،1987، ص200.

وأعني هنا الموقف الذي تقال فيه ، حيث أن قدرا من هذه المنطوقات يتركز حول المتكلم بالدرجة الأولى ، وعلاقته بالأشياء من حوله.

-علم اللغة النصي:

جاءت هذه النظرية من أجل تجاوز الجملة كحد أعلى للتحليل ، واتخذت من النص وحدة للتحليل بإعتباره الوحدة الكبرى المشتملة على جميع المكونات اللغوية ، وبإعتبارها الوحدة الناقلة للمعنى بوضوح أكبر مما تحمله الجملة ، وهذه النظرية ليست بجديدة تماما من حيث اختيارها النص كوحدة تحليلية ، ذلك أن الدراسات التي كانت تتعامل مع ما هو أكبر من الجملة مثل المفسرين الذين تجاوزوا حدود الجملة بمفهومها النحوي إلى ما هو أكبر منها ، وحتى السوركاملة والقرآن كاملا وهو ما وضحته في عنصر السياق عند المفسرين ، ونظرية السياق تعنى لا بالجملة وحدها بل بما يسبقها ، أو يلحقها ، أو يصاحبها من المواقف والملايسات.

يقول "سزابو Szabo" : " أصبح النص الآن مجالا أو منطقة مشتركة بين علم اللغة والأسلوبية والنقد الأدبي بدرجة أكبر من أي وقت مضى".¹

بعد أن كانت الجملة "التعبير اللغوي المستقل بالافادة الذي على اللغوي أن يهتم به"²

انتقلوا إلى النص الذي يعتبره بلومفيلد "مظهر من مظاهر الاستعمال غير قابل للتحديد".³

ولعل من أهم ما يميز نظرية النص تخليها عن الجملة كوحدة تحليل باعتبارها نظاما افتراضيا واتخاذها النص بإعتباره نظاما فعليا ، "وتجليا لعمل ينوي به شخص ما أن ينتج نصا ، ويوجه السامعين إلى أن يبنو عليه علاقات من أنواع مختلفة".⁴

كما ينظر إلى النصوص في هذه النظرية بإعتبارها تراقب المواقف وتوجهها بينما ينظر إلى الجملة على أنها "ليست عملا ، وأنها ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفية العلاقات النحوية

1-يوسف نور عوض:علم النص ونظرية الترجمة،دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط1،1989،ص11-12.

2-سعيد حسن بحيري:علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات،،ص19.

3-المرجع نفسه:ص19.

4-روبيرت ديوجراند:النص والخطاب والاجراء،ص92.

فحسب. 1"

ومن خلال القول السابق أرى أن هذه النظرية تتلائم مع نظرية السياق سواء في أهدافها الأنتربولوجية أو اللغوية التي تبحث عن المعنى من خلال السياق (الموقف) على اعتبار أن المتلفظ به (القول، الكتابة، النص) يرتبط ارتباطاً انجازياً (أسلوب عمل كما يقول ماليونفسكي) أو ارتباطاً مثير كما يقول "بلومفيلد" في ميكانيكيته المعروفة ومن خلال هذا أرى أن الموقف عند "بلومفيلد" هو قبلي أما عند ديوجراند فهو بعدي على اعتبار تأثير القول فيه. كما يرى النصيون أن واحداً من المعايير التي يهدفون في دراساتهم إلى وضعها لتطبيقها بما يقود إلى القول بنصية نص ما أو عدم نصيته ، هو معيار رعاية الموقف ، والذي يتضمن "العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه". 2 وارتباط النص بالموقف لا يقف على استرجاع الموقف فقط ، بل يتجاوز إلى مراقبته وتغييره وهو بهذا يتصل بشكل أو بآخر بنظرية أفعال الكلام التي سبقت الإشارة إليها

ولبيان موقع السياق في نظرية النص نشير هنا إلى عدد من علماء النص الذين ينظرون إلى السياق بإعتباره قيمة يعتمد عليها في التعامل مع النص منهم "هاليداي" الذي ينطلق من وظائف اللغة المتعددة ، تبدأ من الإنفعالات الشخصية مروراً بالمحافظة على العلاقات الاجتماعية ، وتنظيم الأحداث ، والأخبار عن الحقائق ، وصولاً إلى التعبير الأدبي كالحقبة والشعر.... الغ وهنا يقدم "هاليداي" الموقف بشكل مختلف نوعاً ما عما كان يقدمه أستاذه "فيرث"، ذلك أنه يرى أن السياق يتكون من ثلاث مظاهر وهي: المجال ، والنوع ، والمشاركين في الخطاب ، وهي المظاهر السياقية التي تتحكم في مفهوم "هاليداي" للنص على إعتباره يخدم هذه المظاهر و يتطابق معها في مكوناته المعنوية التي تنقسم إلى ثلاث مكونات وهي:

1- المكون الفكري: (Ideational) وينقسم إلى مكونين:

Experiential خبري Logocal ومنطقي.

2- المكون العلائقي: (Inter personal) وهو الذي يحدد نوعية العلاقة بين المشاركين في الخطاب ، ويتطابق مع نوعية الخطاب.

1- روبرت ديوجراند: النص والخطاب والاحراء، ص 92.

2- المرجع نفسه: ص 17.

3-المكون النصي اللغوي: (Textual) وهو الشكل العلامي الذي يتخذ الخطاب من أجل أن يخدم غايته الوظيفية ويتطابق مع وسيلة الخطاب.¹

وخلاصة مفهوم السياق عند "هاليداي" أنه مع النص وجهان لعملة واحدة على النحو الذي يكون فيه السياق هو " :النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر، والنص الآخر لا يشتر أن يكون قوليا ؛ إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها ، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية.²

1-يوسف نور عوض:علم النص ونظرية الترجمة،ص33.

2-المرجع نفسه:ص29.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية

أولاً: ملخص كتاب السياق والنص
الشعري لعلي آيت أشان

ثانياً: أهم القضايا في الكتاب.

ثالثاً: الآراء النقدية لعلي آيت أشان
من خلال كتابه.

أولاً: تلخيص الكتاب

يعد هذا الكتاب من بين الدراسات التي اهتمت بمصطلح السياق وقامت بتتبعه في حقول معرفية وعلمية عديدة، خاصة في اللسانيات والسميائيات والتداولية وتحليل الخطاب ونظرية التلقي، قبل الاشتغال به في مجال التحليل الأدبي، وقد حاول علي آيت أشان أن يبين أهمية السياق من خلال مدخل الكتاب وضح فيه دور علم الدلالة في البحث في السياق والتنظير له، كأداة إجرائية في الدرس اللساني الحديث، وكونه يلعب دوراً مركزياً في تحديد المعنى، وذلك لأن أي اقتراب من قضية المعنى يحث على معرفة السياق، كما بين فيه المسار الذي اتبعه في دراسته انطلاقاً من التداولية التي اقتصر فيها على تداولية أفعال الكلام، وصولاً إلى علم أصول الفقه، وبين فيه أسباب اختياره لهذا الموضوع واشتغاله على نص شعري، ووضح الخطة التي اتبعها، مبيناً الجوانب التي طرقها من خلال دراسته التي قسمها إلى ثلاث أقسام، تناول في القسم الأول منها مظاهر السياق من خلال القواميس العربية، منها لسان العرب المعجم الوسيط وأساس البلاغة، والتي رأى بأنها تعاني من فقر مصطلحي، ثم انتقل إلى دراسة السياق في القواميس الغربية، والتي قسمها إلى قواميس عامة مثل قاموس الجيب وروبير الصغير من تأليف "ألان ري ودي بوف"، وأخرى متخصصة مثل قاموس السميائيات لغريماس وكورتيس، والقاموس الموسوعي لعلوم اللغة لكل من "ديكرو" و"تودوروف"، وقاموس اللسانيات "لجون دي برا"، حيث رأى أن هذه القواميس قد تعاملت مع السياق كمصطلح، وهي تعي حمولته المعرفية، خاصة في الدرس السيميائي و اللساني، كما ربط السياق بمجموعة من المفاهيم؛ وهي المعنى والتركيب والمرجع، ووقف عند أقسام المعنى عند كلاوس؛ وهي المعنى الماهوي والمعنى الإجرائي، هذا الأخير الذي يلخص علاقات وقواعد تركيبية موجودة في لغة ما، ويثبت الكيفية التي تتألف بها العلامات في التعبير، وكيف أن هذه التعابير يمكن أن تتغير".¹ بينما المعنى الماهوي؛ يلخص القواعد الدلالية والتحديدات التي تؤسس للعلاقات الموجودة في لغة ما بين العلامات والمفاهيم والأشياء الممثلة بهذه المفاهيم، وهكذا فالمعنى الإجرائي للعلامة مرتبط بالتركيب والمعنى الماهوي بالدلالة. أما فيما يخص المعنى التعييني والمعنى التضميني، فيقصد بالأول المرجعية "ويقصد بالقيمة التعيينية لوحدة معجمية، العلاقة القائمة بين هذه الوحدة المعجمية

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري- من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط 2000، 1، ص 39.

وما هو خارج عن النظام اللغوي من أشخاص وأماكن وخصائص وسيرورات ونشاطات"1. أما التضمنين فيمثل "مختلف الاستعمالات التحويلية للكلمة أو العلامة"2. كما أشار أشان إلى العلاقة بين السياق والتركيب، نظرا إلى أن الدلالة لا يمكن أن توجد دون تراكيب ، بالإضافة إلى أن المكون الدلالي يندرج كمكون سياقي ضمن القواعد التوليدية التحويلية التي تنتظم من خلال مكونات هي: المكون التركيبي والمكون الفونولوجي والمكون الدلالي ، حيث يعد المكون التركيبي المكون التوليدي الوحيد الذي يصف بنية الجمل ، وقد وضحه من خلال النموذج المعياري وحدد أيضا الافتراض الذي جاءت به نظرية النحو التآلفي، الذي يقوم على عدم وجود أي قيمة للعنصر اللغوي خارج المعطى التواصلية ؛ أي التركيبي ، كما وضع في رصيده لعلاقة السياق بالمرجع قيمة هذا الأخير ، والتي تكمن في أن اتصالنا بالأشياء لا يكون في الغالب مباشرا ؛ أي ماديا ملموسا ، ومن هنا حدد مفهومين للمرجع ، الأول واسع مثل له بمخطط جاكبسون، والثاني ضيق وهو الذي اهتمت به الدراسات الفلسفية ، أما في القسم الثاني من بحثه فقد خصصه لدراسة السياق عند الغرب والعرب ، حيث حدد الفصل الأول بعنوان السياق عند الغرب والذي تناول فيه التداوليات عند كل من فرانسواز أرمينكو وأستن بين من خلالها الاتجاهات التداولية ؛ وهي تداولية البلاغيين ، وتداولية السييسولوجيين ، وتداولية المناطقة والفلاسفة ، وتداولية اللسانيين ، كما أشار إلى تداولية الأدباء ، ثم انتقل إلى تحديد شقي التداولية الأساسيين وهما: تداولية اللغات والتي تضم تداولية اللغات الشكلية وتداولية اللغات الطبيعية ، وتداولية أنماط التلفظ، وتداولية أنماط الملفوظ ، كما أشار إلى تصنيف هانس لمختلف الاتجاهات التداولية ، اعتمادا على تشغيلها لمصطلح سياق إلى ثلاث درجات" ، تتمثل الأولى في دراسة الرموز الاشارية"3. حيث يتمثل السياق عندها في الاهتمام بالمخاطبين ومحددات المكان والزمان، والثانية "تهتم بدراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظة" ، أما الثالثة فتتمثل في نظرية أفعال الكلام هذا وقد حدد أربع أنماط من السياق والتي اسمها نمطية رباعية الأجزاء قسم فيها السياق إلى السياق الظرفي والفعلي الوجودي والمرجعي والسياق المقامي التداولي والسياق التفاعلي

1 علي آيت أشان: السياق والنص الشعري — من البنية إلى القراءة— ص 40.

2-المرجع نفسه: ص 41.

3-المرجع نفسه: ص 59.

4-المرجع نفسه: ص 59.

والسياق لاقتضائي كما أقر بأن التداولية.

تقوم على وجود مفهوم موحد وبسيط ووحيد للسياق مما يسمح بنمو تداولية محضة يكون موضوعها معالجة ما يعود في اللغات الطبيعية إلى الشروط العامة للتواصل

وهي كما تحدث عن تطور السياق مع تطور الخطاب في نفس الوقت كما يبين أن دقة مفهوم السياق وقوته تستند إلى مفهوم العام الممكن وقدم نظرية الكلام عند أستن وحدد أقسام الملفوظات وهي؛ الملفوظات التقريرية و الملفوظات الانجازية وبين عجز أستن عن التمييز بين هاذين النوعين معتبرا أن كل ملفوظ يملك بعدا تقريريا وبعدا إنجازيا وعلى أساس هذا الطرح بنى أستن القسم الثاني من نظريته وهو مجال الأفعال الكلامية والتي ميز فيها بين ثلاث أنواع من الأفعال المترابطة بالملفوظات الانجازية :

"1- فعل التلفظ: وهو مجرد التلفظ بأصوات نطقية.

2- فعل الخطاب: وهو قول شيء معين أي كلام يفيد تقريراً أو وعداً أو استفهاماً.

3- فعل التأثير بالخطاب: وهو الفعل الحاصل نتيجة لما نقول لأنه غالباً ما يكون للتلفظ بكلام تأثير معين على سلوك الآخرين."1

كما ربط هذه الأفعال بمجموعة من الشروط وهي شروط أولية وتحديد وضعية المتكلم التي تسمح له بفعل خطابي ما وشروط الجدلية والتي توجب على المتكلم أن يكون صادقاً في كل أقواله أما الشروط الأساسية فتتمثل في أن الشخص الذي ينجز فعلاً ما، يكون مرتبطاً بواسطة خطاب ملفوظ ببعض الأفكار والمقاصد، وهذه هي جملة الشروط السياقية التي تحكم عملية التواصل بين المتكلم والمستمع.

كما عالج علي آيت أشان السياق في علم النص عند فان ديك والذي تجاوز الجملة إلى النص الذي يمثل بالنسبة له مظهراً أكثر تعقيداً قدم خلالها مجموعة من التصورات للأدب والنص الأدبي ولم يقف عند البنى السطحية والتركيبية بل انتقل إلى ربط النص بالأبعاد الدلالية والتداولية المكونة للنص وهي البنى الفوقية أسلوب النص و بنى النص البلاغية كما بين تقسيمات فان ديك للسياق وهي السياق التداولي والذي يظم النص كفعل كلامي أو الأفعال الكلامية ثم سياق إدراكي والذي يتيح للقارئ فهم النص والسياق النفسي الاجتماعي الذي يبين التأثير الذي تحدثه النصوص على مستعملي اللغة ثم السياق الاجتماعي

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية إلى القراءة-ص67.

الذي يوضح أن النص له تأثير على المقام الاجتماعي كما للمقام الاجتماعي تأثير على النص أما السياق الثقافي فهو يعتبر النص ظاهرة ثقافية تسمح باستخلاص دور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم والقواعد والأعراف السائدة بينهم، ثم انتقل أشان إلى مجال تحليل الخطاب والانسجام و الذي يهتم بالوظيفة التواصلية للغة ويركز على المتكلم و المخاطب وبين أنواع الوظائف اللغوية عند دوسوسير وهي جوهرية وعرضية كما شرح دوائر الكلام التي تفرض وجود شخص لحصول عملية التواصل من خلال مخطط بالإضافة إلى هذا المخطط أشار كذلك إلى مخطط جاكبسون الذي يضم ثمانية وظائف وهي الوظيفة الانفعالية والوظيفة التعبيرية والوظيفة الطلبية والوظيفة المرجعية والوظيفة التنبيهية، والوظيفة اللغوية الواسفة، والوظيفة الشعرية ووظيفة نقلية، ووظيفة تفاعلية، كما أشار إلى مقارنة "برون يول" في مجال تحليل الخطاب والتي اختزلت وظائف اللغة في وظيفتين واهتمت بالمتكلم والكاتب والمستمع والقارئ وبين خصائص السياق عند هابز والتي تظم المرسل والمتلقي والحضور والموضوع والمقام والقناة والنظام وشكل الرسالة والمفتاح والعرض ثم حدد خصائص السياق عند ليفيش وهي العالم الممكن الزمان والمكان والمتكلم والشيء المشار إليه والخطاب السابق والتخصص وفي الأخير حدد علاقة السياق بتحليل الخطاب والتي تتمثل في كون السياق يلعب دورا فعالا في توصيله للخطاب وفي تحقيق انسجامه ثم انتقل إلى نظرية التلقي التي تركز على القارئ باعتباره عنصرا مهما في عملية القراءة وتدعو إلى تجاوز نظرية الأدب الكلاسيكية وإعادة بناء الأدب على أساس نظرية ومنهجية جديدة والتي تركز على المتلقي أو القارئ وهنا أشار أشان إلى فكرة "ياوس" التي تقتضي إعادة بناء تاريخ للأدب يقوم على بنية التلقي لا على أساس التسلسل الزمني تبعا للحقب والعصور وبهذا تجاوز التاريخ التواقي وعوضه بتاريخ توقيتي يتتبع حركة تفاعل النص مع القارئ فجعل من هذا الأخير طرف أساسي في إنتاج العمل الأدبي كما تحدث عن تشكل أفق الانتظار الذي يعده من المفاهيم الأساسية في بناء نظرية التلقي عند ياوس وذلك نظرا لأنه يسمح بإبراز السمة الفنية للعمل كما أشار إلى المسافة الجمالية والتي تتشكل من "الفرق بين كتابة المؤلف وأفق انتظار القارئ"¹ والتي يتم اعتمادا عليها التمييز بين ثلاث أفعال عند القارئ وهي الاستجابة والتغيب والتغيير كما حدد ثلاث مستويات للتحرر وتحقيق المتعة الجمالية وهي مستوى الإنتاج ومستوى التلقي ومستوى التأمل ومنه انتقل

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية إلى القراءة - ص 104.

إلى آيزر والذي ينطلق من وصف التفاعل القائم بين النص والقارئ حيث يعد المتلقي عنصر بالغ الأهمية ومنه عمد إلى بناء نظرية حول الأثر الذي يحدثه العمل الأدبي في المتلقي باعتباره يتبادل مع النص علاقة التأثير والتأثر أثناء القراءة ومن هنا صنف أنواع القراء إلى القارئ النموذجي والقارئ الخبير والقارئ المقصود كما ميز آيزر بين نمطين من القراء هما القارئ المعاصر والقارئ المثالي، إلى جانب مساهمة "أمبرتو إيكو" الذي استفاد من منجزات الدرس السيميائي المعاصر خاصة سيميائية بيرس وبين أن النص عند إيكو غير مكتمل لأنه لا يشمل الجانب اللساني فقط بل يتجاوزه إلى كونه عمل مفتوح ونسيج فضاءات بيضاء ينبغي ملؤها وهنا يظهر دور القارئ في احتواء وملئ الفراغات النصية ويحدد إيكو قارئه بأنه نموذجي كما ميز بين النص المفتوح والنص المغلق، أما في ما يتعلق بالجهد الذي بذله العرب فهو لا يوازي طروحات الغربيين إلا أنه لا يقل أهمية وخصوصية، حيث ركز على علم أصول الفقه بهدف إبراز وعيهم بقيمة السياق ودوره في تحقيق الانسجام النصي وقد استعان الأصوليين به في استنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية والسنة وذلك من خلال تحليل دلالة الألفاظ وعلاقتها بالمعاني والتي قسموها إلى أربعة أقسام هي اللفظ باعتبار المعنى الذي وضع فيه، واللفظ باعتبار المعنى الذي استعمل فيه، واللفظ باعتبار ظهور المعنى وخفائه، واللفظ باعتبار طرق الوقوف على مراد المتكلم، وهذه الأقسام يمكن اعتمادها لدراسة مسألة الدلالة اللغوية، وكذا بعض القضايا التداولية، وهو ما يدل على أنهم أدركوا أهمية السياق في فهم الخطاب، وقد حاول الأصوليين ضبط مختلف أشكال العلاقات بين الدال والمدلول، وذلك انطلاقاً من أن اللغة ألفاظ تدل على معاني، حيث تستمد هذه الأخيرة من الألفاظ بطريقتين:

"1- إما بالحصول على المعنى المطلق عن طريق الألفاظ والعبارات المطلقة (الدلالة الأصلية للفظ) أو المعنى الأول.

2- وإما بالوصول إلى المعنى عن طريق الألفاظ والعبارات المقيدة (الدلالة التابعة) أو المعنى الثاني."

كما عرض بعض القضايا التي رأى فيها حضور لسياق ووعيا به عند الأصوليين منها دلالة اللفظ المفرد والتي أدرج الأصوليين من خلالها مجموعة من المسائل منها العام والخاص والمشارك اللفظي حيث اعتمدوا في العام على قرائن التخصيص التي تنقسم إلى قرائن لفظية منها المتصلة ومنها المنفصلة وقرائن غير لغوية أما

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري- من البنية إلى القراءة- ص115.

الخاص "فهو لفظ وضع لدلالة واحدة مفردة سواء كان شخصا كمحمد أو نوعا كالإنسان أو جنسا كالحیوان".¹

وحكم الخاص على وجه الإجمال أنه إذا ورد في نص شعري دل دلالة قطعية على معناه الخاص الذي وضع له حقيقة أما المشترك اللفظي فقد عرفه الأصوليون بأنه اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر، وهو يتميز باتساع دلالته ولذا وجب لضبطه وضع الألفاظ في سياقاتها وأن تربط بالمقامات.

أما عن اللفظ باعتبار المعنى الذي استعمل فيه، فقد قسمه الأصوليون إلى قسمين هما: الحقيقة والمجاز حيث تنقسم الحقيقة إلى لغوية وشرعية أما المجاز "وهو اللفظ الذي استخدم في غير موضعه" ² فيشترط لصحته وجود علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وقد قسموه إلى المجاز اللغوي والمجاز العرفي والمجاز الشرعي أما اللفظ باعتبار الوضوح والخفاء فيقصد بوضوح الدلالة من الألفاظ ما دل على المراد منه بنفس صبعته وينقسم بدوره إلى الظاهر والنص والمفسر والمحكم بينما ينقسم خفي الدلالة إلى الخفي والمشكل والمحمل والمتشابه.

أما فيما يتعلق بطرق دلالة اللفظ على مراد المتكلم فقد أشار أشان إلى قسمين أساسيين وقف عليهما الأصوليون وهما المعنى الحرفي والذي سموه دلالة المنظوم أو المنطوق والدلالات التابعة التي يستلزمها النص كما عدد طرق الدلالة عند الحنفية وهي دلالة العبارة ودلالة الإشارة ودلالة الدلالة ودلالة الاقتضاء كما أشار إلى قسمين للدلالة عند الشافعية وهما دلالة المنطوق ودلالة المفهوم.

أما القسم الثالث من الكتاب فقد خصصه لدراسة قصيدة مطولة للشاعر المغربي بنسالم الدمناقي بعنوان "الطحلب الآخر" حاول خلالها إخراج المصطلح من حمولته النظرية الخاصة إلى ما هو عملي وقد أشار فيه أن سبب اختياره للنص الشعري هو أنه يرى فيه مكان تجتمع فيه المتناقضات كما يرى أنه حركة لا تتوقف وفعالية لا متناهية تحقق استمراريتها ووجودها عبر المتخيل كما حاول في قراءته للنص أن يقف عند العتبات الأولى للنص وهي تحديد الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص لأنه يرى أنه يساهم بشكل

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري- من البنية إلى القراءة- ص 118.

2- المرجع نفسه: ص 122.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لكتاب السياق والنص الشعري لـ علي آيت أشان

فعال في تحقيق عملية التواصل كما حدد العنوان بالرجوع إلى القاموس ثم انتقل إلى الأطراف الأخرى المكونة للنص اعتماداً على مصطلح السياق في بعده التداولي وذلك من خلال الإجابة عن مجموعة من الأسئلة وهي:

- من هو المتلقي؟

- ما هو المكان المؤطر للنص؟

- ما هو موضوع النص؟

- ما هو زمان النص؟

وفي الأخير أشار إلى دور السياق وأهميته لأنه يقدم إمكانيات عديدة الإحاطة بالنص، واستجماع كل خصوصياته وضبط مختلف علاقاته وذلك كله من خلال تجاوز القراءة المغلقة إلى قراءة مفتوحة تمكن القارئ من الوقوف على النص الشعري في سيرورته وتواصله.

-ثانياً: أهم القضايا التي جاءت في الكتاب:

إن كتاب السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة دراسة جمع من خلالها علي آيت أشان مجموعة من القضايا في إطار محاولة لتقريب مفهوم السياق وتحديد علاقته بعلم الدلالة الذي يهتم بدراسة المعنى وقد لخص ادريس بلمليح الجهود التي قام بها أشان في ثلاث عناصر وهي:

"أ- تحديد دراسة للسياق في إطار اتجاه تداولي واحد هو تداولية أفعال الكلام.

ب- عمل ما أمكن على ربط الحمولة الدلالية للسياق بالتراث العربي والإسلامي خاصة لدى علماء أصول الفقه؛ وذلك لتكون عملية المثاقفة التي يؤمن بها عملية حيوية ومنتجة.

ج- إن أهم ملمح لدى الأستاذ آيت أشان في هذه الدراسة يكمن في العمل على ربط مفهوم السياق

بالدراسات الأدبية ثم التوجه به توجهها تطبيقيا لدراسة قصيدة مطولة لشاعر مغربي متميز هو المبدع بنسالم الدمناتي.¹

-علم أصول الفقه:

حاول أشان من خلال حديثه عن علم أصول أن يعرض مظاهر السياق عند الأصوليين وذلك " بهدف آيراز وعيهم بقيمته ومكانته ودوره في تحقيق الانسجام النصي".²

كما اقتصر في دراسته على الجانب اللغوي في مباحثهم لكونه يقدم صورة عن وعيهم واهتمامهم بالسياق.

كما حدد دوافع الأصوليين والتي تمثلت في "محاولة كشف وتحليل دلالة الألفاظ وعلاقتها بالمعاني".³

كما أشار إلى أقسام الدلالة وهي أربعة أقسام:

"-اللفظ باعتبار المعنى الذي وضع فيه.

-اللفظ باعتبار المعنى الذي استعمل فيه.

-اللفظ باعتبار ظهور المعنى و خفائه.

اللفظ باعتبار طرق الوقوف على مراد المتكلم".⁴

وقد فصل في كل قسم من هذه الأقسام فعالج في القسم الأول مسائل عديدة يحضر

فيها السياق بمعناه الضيق أو الواسع وهي العام والذي عرفه بأنه "لفظ يدل حسب وضعه اللغوي على أفراد غير محصورين على سبيل الشمول والاستغراق، ولا فرق بين أن تكون دلالاته على ذلك بلفظ أو بمعناه".⁵

1-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية الى القراءة-ص113.

2-المرجع نفسه: ص114 .

3-المرجع نفسه: ص113.

4-المرجع نفسه: ص114

5- المرجع نفسه: ص114.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لكتاب السياق والنص الشعري لـ علي آيت أشان

كما أشار إلى طرق تخصيص العام والتي حددها في نوعين هما قرائن لفظية وقرائن غير لفظية وهي الحدس

أما عن المشترك اللفظي فقد حدد مفهومه بأنه اللفظ الذي يدل على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السوء عند أهل تلك اللغة كما حدد معناه السيوطي نقلا عن ابن فارس في فقه مقاييس اللغة و الآملي " بأنه "وضع اللفظ الواحد مادة وهيئة بإزاء معنيين متغايرين أو أكثر".¹

أما عن أسباب المشترك اللفظي فيرى أشان أن الأصوليين قد استفاضوا "في شرح أسباب وقوع المشترك اللفظي إلا أنهم أغفلوا الإشارة إلى التغير الصوتي الذي يعتري كلمة معينة فتشبهه بالأخرى ذات دلالة مغايرة فينتج عن ذلك لفظ واحد له دالتان مختلفتان أو أكثر".² وقد قسم أحمد مختار هذه الأسباب إلى:

● "أسباب داخلية.

-تغير في النطق.

-تغير في المعنى.

● الأسباب الخارجية: اختلاف البيئة. "³

هذا وقد حدد صلاح الدين زروال ثلاثة أنواع تدخل في نطاق ظاهرة المشترك اللفظي وهي:

"1-تعدد المعنى لكلمة نتيجة لاستخدامها في مواقف مختلفة.

2-دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة للتطور الدلالي سواء المقصود أو غير المقصود

3-وجود أكثر من كلمة تدل كل منها على معنى ولكنهما متحدان في النطق".⁴

1--أحمد مختار عمر:علم الدلالة،ص 158.

2على آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة-ص120

3-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص160.

4-صلاح الدين زروال: الظاهرة الدلالية، -عند علماء العربية القدامى-ص238.

وهذه الأنواع لا تختلف عما جاء عند المحدثين وهو ما أكدته أحمد مختار في كتابه علم الدلالة.

ونظرا لتعدد المشترك اللفظي حدث تشويش أعاق التفاهم وألقى ظلال من الغموض على المعنى وذلك لأن "لفظ المشترك يتميز باتساع دلالاته ولضبط الألفاظ المتسعة الدلالة ينبغي أن توضع في سياقها وتربط بالمقامات والممارسات التي تلائمها تلك الألفاظ."1 هذا ولحد من الآثار السلبية لظاهرة المشترك اللفظي اقترح أحمد مختار مجموعة من الحلول والمتمثلة في:

"-هجر أحد المعنيين وتركه بالكلية لتصادمه مع المعنى الآخر.

-بقاء اللفظين مع الاعتماد على السياق أو القرينة الخارجية لتحديد المعنى المراد.

-تغيير صيغة إحدى الكلمتين حتى تأخذ شكلا خاصا بها يميزها عن الكلمة الأخرى.

-عدم استخدام بعض الكلمات التي ينبغي أن تنطق بإبدال صوتي معين."2

وقد ينتج عن صراع المعاني بين كلمات المشترك اللفظي تحديد استعمال الكلمات.

أما عن دلالة اللفظ باعتبار المعنى الذي استعمل فيه فيقول أشان: "إن الأصوليين لم يهتموا بما هو جمالي في دراستهم لمسألة الحقيقة والمجاز."3

ومنه عرف الحقيقة عند الآمدي بأنها "لفظ مشتق من الحق ثم نقلت من الثابت أو المثبت ومعناه الشبوت."4

كما أشار إلى أقسام الحقيقة عند الأصوليين وهي "لغوية وشرعية واللغوية تنقسم إلى وضعية وعرفية، والعرفية

1-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة-ص120.

2-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص188.

3-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة-ص120.

4-المرجع نفسه: ص121.

تنقسم إلى عرفية عامة، وإلى عرفية خاصة.¹

ومما سبق استنتج أشان انتباه الأصوليين إلى السياق وذلك انطلاقاً من تمييزهم بين الدلالة الأولى للكلمة والدلالة العرفية، أما فيما يتعلق بالمجاز فقد عرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزُهُ وإذا تعداه وإذا بدل باللفظ عما يوحيه أصل اللغة وصفه بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً."²

أما الأمدي فيعرف المجاز بأنه "اللفظ المتواضع على استعماله في غير ما وضع له أولاً في اللغة لما بينها من التعلق ولم يعتد كونه وضعياً أبقي الحد وأبدل المتواضع عليه بالمستعمل وعلى هذا فلا يخفى حد التجوز عن الحقيقة العرفية، الشرعية"³.

أما عن أنواع المجاز فقد ميز بعضهم بين أنواع ثلاثة للمجاز وهي:

"أ- المجاز الحي: (Living) الذي يظل في عتبة الوعي ويشير الغرابة والدهشة عند السمع.

ب- المجاز الميت: (Dead) أو الحرفي (Fossil) وهو النوع الذي يفقد مجازيته ويكتسب الحقيقة من الألفة وكثرة التردد.

ج- المجاز النائم: (Sleeping) أو الذواقي (Faded) ويحيل مكاناً وسطاً بين النوعين السابقين."⁴

أما أنواع المجاز التي حددها الأصوليين فهي:

"- المجاز اللغوي كانتقال الاسم من الحقيقة اللغوية كما في إطلاق لفظ (إنسان) على الناطق عموماً عن

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية إلى القراءة - ص 121.

2- حسني عبد الجليل يوسف: علم البيان بين القدماء والمحدثين - دراسة نظرية وتطبيقية - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2006، ص 27.

3- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري، ص 122.

4- صلاح الدين زروال: الظاهرة الدلالية، - عند علماء العربية القديمة - ص 313.

طريق التجوز.

- المجاز العرفي كاستعمال لفظ (الدابة) لكل ما يدب على الأرض بعد استقراره عرفا بذوات الأربع.

4- المجاز الشعري كاستعمال لفظ (الصلاة) الذي استقر في الشرع بدلالة خاصة تشمل أقوالا وأفعالا تؤدي بصورة معينة¹، ثم يستعمل هذا اللفظ للدعاء، إضافة إلى ما سبق أشار أشان إلى مسألة وضوح اللفظ و حفاءه حيث عرف وضوح الدلالة عند الأصوليين بقوله: "يقصد الأصوليين بواضح الدلالة من الألفاظ ما دل المراد منه بنفس صيغته من غير توقف على أمر خارجي".²

أما عن الشروط والمعايير التي وضعها الأصوليين لتحديد منهج موضوعي وطريقة عملية في تأويل النص وتوجيهه فقد حددها أشان فيما يلي:

"-الدقة المتناهية في تصنيف مرتبة الوضوح والخفاء.

-مراعاة العرف اللغوي العام والشعري الخاص في فهم النصوص.

-العناية بالسياق بمعناه الواسع.

- النظر إلى النصوص الشرعية من قرآن وسنة باعتبارها وحدة متكاملة يفسر بعضها بعضا.³

كما أشار أشان إلى أن اللفظ سواء كان مكتوبا أو منطوقا فانه يدل على معاني متعددة بطرق متعددة من طرق الدلالة. هذا إضافة إلى أقسام الدلالة عند الحنفية وهي : دلالة العبارة ، ودلالة الإشارة ، و دلالة الدلالة ، و دلالة الاقتضاء وقد عرف هذه الأخيرة بأنها "دلالة اللفظ على مسكوت عنه يتوقف صدق الكلام عليه أو يستحيل فهم الكلام عقلا إلا به أو يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلا به"،⁴ أما فيما يخص

1--علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية الى القراءة. ص124.

2-المرجع نفسه: ص125.

3-المرجع نفسه: ص126.

4-المرجع نفسه: ص129

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لكتاب السياق والنص الشعري لـ علي آيت أشان

أقسام الدلالة عند الشافعية إلى قسمين رئيسيين هما: دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، هذا على خلاف ابن

تيمية الذي يقسم الدلالة إلى ثلاث أقسام وهي:

-القسم الأول: الدلالة التي لم يشعر بها الدال ولم يقصدها، وتسمى دلالة الحال..

-القسم الثاني: الدلالة التي يعلم بها الدال ولكنه لم يقصد إعلام أحد بها وذلك مثل البكاء ونحوه من الأصوات التي تدل بالطبع، فان فيه دلالة على حزن المرء، والدال يعلم بهذه الدلالة، ولكن لم يقصد إعلام أحد بحزن نفسه

-القسم الثالث: الدلالة التي يقصدها الدال وقد تكون بخطاب، وقد تكون بغير خطاب، كالإشارة.¹
وهي تنحصر في دلالة سلبية وهي ما انتفى فيها العلم والقصد أو إحداهما، أما الدلالة الموجبة فتتضمن قصد الدال وعمله وهي تحوي دلالة لفظية وأخرى غير لفظية.

أما الشاطبي فيقسم الدلالة إلى قسمين هما:

"1- دلالة أصلية: ويعبر عن صحة اعتبارها في الدلالة على الأحكام مطلقاً وأنه لا يسع الخلاف فيها.

2- دلالة تابعة: ويشير إلى الخلاف فيها مصححاً الاستدلال بها واعتبارها في الدلالة على الأحكام"²

أما علماء اللغة الدلالية فيقسمون الدلالة حسب مصادرها إلى أربعة أقسام وهي:

1- دلالة صوتية: وهو ما أشار إليه تمام حسان حين قال: "إن اعتماد الكلام المنطوق على أساسين: أحدهما حركي يسمى المخارج، والثاني سمعي يسمى الصفات، وقد عد أساس الاختلاف بين الأصوات المنطوقة فأمكن لهذا الأساس وما بينها وما في خلافها من مقابلات، أو قيم أخلافية أن تكون منطلقاً أساسياً لسعي إلى إنشاء نظام صوتي لغوي تستخدم فيه هذه القيم بين المخرج والمخرج وبين الشدة والرخاوة

1- سعيد بن مقبل بن عيسى العنزي: الدلالة عند الأصوليين -دراسة نظرية تطبيقية- أم القرى المملكة السعودية، 2007، ص31.

2- المرجع نفسه: ص32.

مثلا ، بين الجهر والهمس وبين التفخيم والترقيق.¹

2-الدلالة الصرفية: والتي ترجع إلى معرفة تصريف اللفظ و إرجاعه إلى أصله مما يعين على ترجيح المعنى

الأقرب.

3-الدلالة النحوية: وهي تنتج من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات وذلك لأن الإعراب يحدد

الوظائف النحوية للكلمات من خلال حركاته (الرفع -النصب-الجر-الجزم) والتي تختلف من كلمة إلى أخرى.

4-الدلالة المعجمية أو الاجتماعية: وهي ناتجة عن كون اللفظة تكون محملة بالعادات السائدة في عصر ظهورها.

ومما سبق أرى أن سبب اختلاف تقسيمات الدلالة راجع إلى تعدد المنطلقات المعتمدة في التقسيم.

2-التداوليات:

التداولية من بين أهم القضايا التي طرحها علي آيت أشان في كتابه حيث يشير إلى أن أقدم تعريف لها نجده عند "شارل موريس" وهو تعريف واسع يجعل من التداولية جزء من السميائيات، وتهتم بمعالجة العلاقة بين العلامات ومستعملها.² حيث ينطلق هذا التعريف من أبعاد السميائية الثلاث التي ذكرها خليفة بوجادي في كتابه "في اللسانيات التداولية" وهي:

"-علاقة العلامة بالموضوعات المعبرة عنها، وذلك بعد دلالي يهتم به علم الدلالة.

-علاقة العلامات بالناطقين بها وبالمتلقي، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها وذلك هو البعد التداولي (اهتمام التداولية).

1- تمام حسان: اللغة العربية معانيها ومبانيها، ص46

2-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة-ص55.

-علاقة العلامات فيما بينها، وذلك بعد تركيبي، يهتم به علم التراكيب.¹

أما نور سعودي أبو زيد فيرى بأنها "اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق.²

هذا ويرى محمد الأخضر الصبحي بأن التداولية أحد أهم المناهج اللغوية الحديثة التي صحت مسار علم اللغة الحديث متدركة بذلك العديد من نقائصه حيث تنطلق من أن الوقوف بالدراسات اللسانية عند حدود بنية اللغة لا يمكن من فهمها والوقوف على أكبر قدر من حقائقها لذلك يجب أن تشمل الدراسة وظيفتها وهو ما يعني الدعوة إلى دراسة اللغة في الاستعمال أي دراستها وهي تؤدي وظيفتها التواصلية. أما فيما يخص المعطيات اللغوية والخطابية فهي تشمل ما يلي:

-معتقدات المتكلم ومقاصده، شخصيته، تكوينه الثقافي، من يشارك في الحدث اللغوي.

-الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية و الزمنية، الظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

-المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيها.³

كما أشار أشان إلى تصورات فرونسوا أرمنكو حول التداولية من خلال الاتجاهات المختلفة لتداولية وهي:

"-تداولية البلاغيين الجدد.

-تداولية السيكلوجيين.

1-خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأسيسية في الدرس العربي القديم-بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص67.

2-نوري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي -مبادئ والإجراءات-بيت الحكمة الجزائر ط1، 2009، ص18.

3-عبد الحميد السد: دراسات اللسانيات العربية-بنية الجملة العربية التراكيب النحوية والتداولية علم النحو وعلم البيان، دار حامد لنشر والتوزيع، ط1، دت، ص119.

- تداولية المنطقة والفلاسة.

-تداولية اللسانيين.

وحاليا هناك تنبأ بتداولية الأدباء.¹

هذا كما شهد حقل اللسانيات تنوعا من هذا القبيل حيث ظهرت ثلاث تداوليات وهي:

"-التداولية الأصلية(العازلة) Radicale :تعني أن التداولية ليست قسما مكملا لعلم الدلالة، بل إنها منقسمة عنها.

التداولية التكاملية (المكتملة) Integree :اشتهر هذا المصطلح في التحليلات التداولية المنجزة من (أنسكومبر) و(ديكرو)، ويعكس نظرية دلالية اكتملت ضمن اللسانيات مع أطروحات للملفوظية، ومهمتها دراسة أفعال الكلام، ثم دراسة المعنى الملفوظية (من مبدأ أن معنى ملفوظ ما هو إلا صورة للملفوظية.

التداولية المعرفية (الإيصالية الإدراكية) Cognitive : نشأت من نظام مركزي لتفكير وعرضت فرضيات العمليات المرتبطة بالمعالجة التداولية للملفوظات وهي ليست متخصصة بالنظام اللساني.² أما فرونسوا أرمنكو فقد ركزت في كتابها "المقاربات التداولية" على اتجاهين لا تقاطع بينهما هما تداولية اللغات وتنقسم إلى قسمين:

"أ-تداولية اللغات الشكلية (La pragmatique des Langues formelles).³ والتي نشأة من الاتجاه الكانطي في اللغة وسرعان ما التقت

بتحليل فلاسفة اللغة العادية بداء من السبعينات، عند "ستالناكر" ثم "هانسون" كما قامت على مبادئ الفلسفة والمنطق في معالجة العلاقات بين التلفظ والملفوظ.

1-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة-ص56.

2-خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-ص82.

3-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية إلى القراءة-ص57.

ب-تداولية اللغات الطبيعية: (La pragmatique de Langues naturelles) 1. "والتي تشمل البحوث التي لجأ إلى دراسة اللغة بوصفها وسيلة وحيدة لتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع." 2

تداولية التلفظ وهي بدورها تنقسم إلى:

"-تداولية أنماط التلفظ: Des modalités d'énonciation: " 3.

5-تداولية أنماط الملفوظ: والدلالة الاشارية التي تتسع لتضم العوالم الممكنة.

حيث يتناول الأول اللفظ من حيث هو صناعة مما يدفع إلى صياغته وتشكيله وتمثلها فكرة ألعاب اللغة عند ليفيتغنشتان "وخلاصة مفهومه أن الأفعال التي تلفظها، ترتبط بأشكال الحياة والممارسات التي نحياها؛ أي أنه ينحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين عباراتهم." 4

أما الثاني فيهتم بشكل الملفوظ وعبارته ومدى علاقته بالدلالة المرتبطة بهذا الشكل أو هذه العبارة وضبط خطوات السياق المناسب.

ومفهوم أستن للقوة الانجازية ومفهوم فعل الكلام عند سيرل حيث نجد أوستن يعرف الفعل الكلامي بأنه: "النطق ببعض الألفاظ والكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة على نحو ما بمعجم معين ومترابطة به ومتماشية معه وخاضعة لنظامه." 5

كما عدد أشان الاتجاهات التداولية حيث " صنف هانس (Hansson) 1974 مختلف الاتجاهات التداولية اعتمادا على تشغيلها لمصطلح السياق إلى ثلاث درجات:

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية الى القراءة - ص58.

2- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-ص78.

3-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية إلى القراءة-ص58.

4-خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-ص52.

5--أوستن: أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام-ص116.

"-تداولية الدرجة الأولى: "تتمثل في دراسة رموز التعبيرات المبهمة ضمن ظروف استعمالها.¹

حيث يتم الاهتمام بالسياق الوجودي المتمثل في المخاطبين الزمان المكان.

-تداولية الدرجة الثانية: تتمثل في دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه أي دراسة حجم ما يبلغه

المتكلم من دلالات في الملفوظ الذي يؤدي ذلك ومدى نجاحه وإخفاقه.²

أما تداولية الدرجة الثالثة: فتتمثل في نظرية أفعال الكلام والتي أسهم تطورها في نشاط بحث الملفوظية لأنها نشأة في حضانها مما ساعد على تقدم الدرس الدلالي.

ومن هنا أشار علي آيت أشان إلى نمطية رباعية الأجزاء وهي تتمثل في أنواع السياق الأربعة والمتمثلة في السياق الظرفي والفعلي والسياق المقامي أو التداولي، والسياق التفاعلي والسياق لاقتضائي يقول خليفة بوجادي " : السياق مفهوم مركزي يملك طابعه التداولي، ولكننا لا نعرف أين يبدأ وأين ينتهي".³ ومنه قسم السياق إلى:

"-السياق الظرفي أو الفعلي: يشمل هوية المتخاطبين ومحيطهم زمانيا ومكانيا.

-السياق التداولي(الموقفى): يتضمن الغايات الممارسة خطايا.

-السياق لاقتضائي: يرتبط بمحس المتخاطب.

-السياق اللغوي (النص المساعد): هو مجموع الكلمات المجاورة التي تحدد مدلول الكلمة

- السياق غير اللغوي: هو مجموع الظروف الاجتماعية التي تحدد مدلول الخطاب.⁴

1 - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-ص79

2 - المرجع نفسه -79.

3- المرجع نفسه:ص115.

4- المرجع نفسه:ص115.

كما ركز أشان على تداولية أفعال الكلام عند أستن حيث يقول: "نظرية أفعال الكلام نظرية تداولية تهتم بكافة الملابسات السياقية المحيطة بالملفوظ سواء ما تعلق منها بعملية إنتاجه أو تلقيه".¹

وقد لخص جيلالي دلاش فكرة "أستن" في نقطتين اثنتين مهما:

"-النقطة الأولى تتمثل في رفضه ثنائية الصدق والكذب.

-النقطة الثانية تتمثل في إقراره بأن كل قول عبارة عن عمل".²

وقد حدد أشان قسمين للملفوظات عند أستن وهي الملفوظات التقريرية "والتي تنحسر وظيفتها في وصف الحوادث وحالات الأشياء وهي تخضع في الحكم عليها إما للصدق أو الكذب".³

الملفوظات الانجازية والتي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب حيث يعرفها أشان بقوله: "ملفوظات لا تدل على الصدق والكذب وإنما من خلالها ننجز شيئاً ما، قد يكون وعداً أو أمراً أو تهديداً..."⁴

ويجعل "أوستن" الأفعال الانجازية خمسة أقسام وهي:

"-الحكيمة (Verdictifs).

-التمرسية (Exercitifs): مثل أمر، عين، نبه...

-التكليف (Commissifs): مثل أقسم أتمنى...

-العرضية (Expositifs): مثل أنكر، أكد...

1 - علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية إلى القراءة-ص63.

2 - الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، -لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها- تر محمد بجاتن، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، ص22.

3 - علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية إلى القراءة-ص64.

4-المرجع نفسه: ص64.

- السلوكيات (Comporementaux): مثل شكر هنا، انتقد...¹

أما سيرول فقد قدم اثني عشر معيارا خاصا بالأفعال الانجازية ثم ردها إلى خمسة أصناف، وهي:
"1- التأكيدات (Assertifs) ومهمتها أن تجعل المتكلم منحرفا بدرجات مختلفة في صميم القضية المعبر عنها.

- الأوامر (Directifs): ومدار الإنجاز فيها على استجابة السامع لأمر ما لصالح المتكلم.

3- الالتزامات (Commissifs): وهي عنده بناء على توجه أستن فيها الأفعال الانجازية التي هدفها أن تجعل المتكلم ينحرف في أفعال مستقبلية.

4- التصريحات (Expressifs): ووجهة الإنجاز فيها التعبير عن حالة سيكولوجية وعن مشاعر محتملة، مثل الأفعال شكر هنا واعتذر.

5- الادلاءات (Déclaration): وهي التي يتجه الإنجاز فيها إلى محاولة التقريب بين مضمون القضية المعبر بها وبين الواقع المعبر عنه لضمان إنجاز أفضل.²

أما أحمد المتوكل في كتابه اللسانيات الوظيفية فقد حدد شروط لهذه الملفوظات لا تتحقق إنجازيتها إلا بها وهي:

"- أن يكون الفعل فيها منتما إلى مجموعة الأفعال الانجازية (وعد، سأل، قال، حذر، أوعد).

- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها.

- أن يكون زمن دلالتها المضارع.³

هذا وقد حدد أشان الفرق بين الملفوظات الانجازية و الملفوظات التقريرية وذلك أن هذه الأخيرة تحيل بصفة

1-نوري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي-المبادئ والإجراءات -ص28.

2-المرجع نفسه: 29.

3- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم -ص95.

مباشرة على الواقع، بينما تحيل الملفوظات الانجازية على نفسها.

كما أقر بأن أوستن قد أخفق في طرحه هذا الذي يقتضي بالتمييز بين هذه الأفعال حيث يقول: "وهكذا ينتهي الجزء الأول من نظرية أوستن بعجزه عن التمييز بين الملفوظات التقريرية والملفوظات الانجازية معتبرا أن كل ملفوظ يملك بعدا تقريريا وبعدا انجازيا".¹

وانطلاقا من هذه النتيجة التي توصل إليها أشان بني القسم الثاني من نظرية أوستن التي تحدث فيها عن الأفعال الكلامية التي ميز فيها بين ثلاث أنواع من الأفعال الكلامية وهي:

"1- فعل التلفظ: *Acte Locutoire* وهو مجرد التلفظ بأصوات نطقية.

2- فعل الخطاب: *Acte illocutoire* وهو قول شيء معين، أي كلام قد يفيد تقريراً أو وعداً أو استفهاماً.

3- فعل التأثير في الخطاب: *Acte Perlocutoire* وهو الفعل الحاصل نتيجة لما نقول لأنه غالبا ما يكون للفظ بالكلام تأثير معين على سلوك الآخرين مثل إقناعهم، أو امتناعهم، أو إغضابهم".²

أما سيورل فقد أعاد تقسيم الأفعال الكلامية وميز أربعة أقسام لها وهي:

"1- فعل التلفظ (الصوتي والتركيب)."

2- الفعل القضوي (الاحالي والجملي).

3- الفعل الانجازي (على نحو ما فعل أوستن).

4- الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستن)."³

أما أوستن في كتابه "أفعال الكلام العامة" فيحدد ثلاث أنواع من الأفعال الكلامية وهي:

1 - علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية الى القراءة - ص 67.

2 - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية - محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم - ص 67-68.

3 - المرجع نفسه: ص 96

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لكتاب السياق والنص الشعري لـ علي آيت أشان

1- فعل قولي Locutoire يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي) ، والتلفظ بالتركيب (فعل تركيب)، واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي).

2- فعل انجازي (القول الفاعل) illocutoire : يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أداءه (يعد، يخبر، يعجب، ينذر) ويشتمل الجانب التبليغي والجانب التطبيقي.

3- فعل تأثيري (استلزامي) Perlocutoire : يحصل حين يغير الفعل الانجازي من حال المتلقي بتأثير عليه (كأن يرغبه، يجعله يفعل).¹

وقد اشترط أشان لتحقيق الأفعال الكلامية نجاحا مجموعة من الشروط تقوم مقام القيمة الصدية ملفوظات الكلام وتتمثل هذه الشروط في:

1- الشروط الأولية: وتحدد وضعية المتكلم التي تسمح له بفعل خطابي ما.

2- شروط الجدوية: يجب على المتكلم أن يكون صادقا في كل أقواله.

3- الشروط الأساسية: إن الشخص الذي ينجز فعلا ما، يكون مرتبطا بواسطة خطاب ملفوظه ببعض الأفكار والمقاصد.²

وقد ميز أستن بين ثلاث مستويات للملفوظ اللساني وهي:

4- مستوى التعبير، ويعود الأمر فيه بالأساس إلى تشكيل سلسلة من الأصوات اللغوية لها انتظام معلوم ثابت.

5- مستوى انجازي، وله تعلق بالفعل الكلامي، وما يقوم به المتكلم نفسه، من أمر أو استفهام أو طلب، أو غير ذلك....

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ص ص 96.

2- بتصرف، علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية الى القراءة ص 72-73.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لكتاب السياق والنص الشعري لـ علي آيت أشان

- مستوى الاستجابة ويعني الأثر الذي يتركه المتكلم، بفعله الكلامي في السامع في الموقف المعين وهذا مستوى يخرج عن إطار اللغوي.¹

هذا ويرى خليفة بوجادي أنه يمكن التمييز بين ثلاث مراحل في بحث أستن لتحديد معنى القول (القول يعني الفعل؛" حيث فصل في البداية مدلول القول ومدلول الفعل فصلا يقوم على أن مبدأ أن الكلام يناقض الحدث وبذلك فبين القول والفعل تضاد. أما في المرحلة الثانية فقد جعل ترادفا نسبيا بينهما في حالة القول الملفوظ بشروط معينة؛ حيث يصبح مرادفا للفعل. وتطور هذا الترادف النسبي إلى ترادف تام في آخر مرحلة؛ حيث تم تعميم الفرضية بمفهوم تداولي؛ وعد كل قول فعل.²

وقد توصل أشان عند طرحه لهذه القضية إلى أن الاهتمام بالملفوظ هو اهتمام بالمتكلم، وبكل الشروط السياقية التي تحكم في عملية التواصل بين المتكلم والمستمع، ودراسة اللغة أثناء عملية الاستعمال. وفي الأخير أرى أن كل من سيرول وأستن ينطلقان من مفهومين أساسيين في تحديد لهما لأقسام الأفعال الانجازية وهما:

- مفهوم السياق: ويعني الموقف الفعلي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره لكل ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال.³

ومفهوم آخر هو الكفاءة: وهي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق، هذا الإسقاط الذي يختلف المتكلمون في مستوياته ودرجته، وبناء عليه تتحدد كفاءتهم التواصلية.⁴

1-نوري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي -المبادئ والإجراءات-ص30.

2-خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-ص54.

3-المرجع نفسه ص29.

4-المرجع نفسه: ص30.

3-جمالية التلقي:

تعد جمالية التلقي من بين أهم القضايا التي تحدث عنها أشان في كتابه وذلك في معرض حديثه عن السياق عند الغرب وقد ركز على أهم ما جاءت به هذه النظرية حيث شهدت الساحة الأدبية "عودة القارئ إلى مسرح الأدب إلى جانب المؤلف والنص باعتباره عنصرا مركزيا في عملية القراءة" ¹ وقد سمي هذا الاتجاه بتسميات مختلفة منها جمالية التلقي، أو التقبل، جمالية القراءة، ونظرية الاستقبال ونظرية التلقي ونقد استجابة القارئ هذا ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأدب يتحدد بعلاقة التفاعلية بين النص والقارئ وذلك لأن النص أو العمل الأدبي يتكون من بنيات داخلية تسمح بتحديد إمكانيات أخرى لا تسمح بذلك وهذا التفاعل وحده يضمن صيرورة القراءة وإنتاج العمل الأدبي ولا يمكن أن نعتبره نصا فحسب ولا قارئاً ، بل هو تركيب والتحام بينهما ،"فالبنيات النصية وأفعال الفهم المبينة تشكل قطبين في فعل التواصل ويعتمد نجاح فعل التواصل هذا على الدرجة التي يؤسس فيها النص نفسه كعامل ارتباط في وعي القارئ فغالبا ما يعتبر نقل النص هذا إلى القارئ شيئا يحدته النص وحده ،ومع ذلك فإن أي نقل ناجح لو أعطى النص انطلاقته يعتمد على المدى الذي يستطيع فيه هذا النص تنشيط ملكات القارئ الفردي في الإدراك ،و المعالجة رغم أن النص قد يجسد فعلا الأعراف والقيم الاجتماعية لقرائه المحتملين فإن وظيفته لا تقوم فقط بعرض مثل هذه المعطيات، بل في الحقيقة باستعمالها لكي تضمن فهم النص"، ² ومما قدمه آيزر عن المفهوم يتضح لنا ،أن النص تركيب من البنيات الداخلية المتنوعة والتي تعتبر المحدد الرئيسي في صيرورة ودوام فعل القراءة وإنتاج المعنى ،وأن الالتحام بين النص والقارئ والمتلقي يؤدي إلى تشكيل العملية التواصلية مما يعطي فهما واسعا عن مدى وعي القارئ لأهمية النص المتلقي من خلال ملكات المتلقي المتجسدة في الإدراك و الإحساس بالأشياء وتفاعله والتي لا يمكن أن تكون مجرد محسوسات جوفاء خارجة عن إطار المعنى، الموجود في النص والأحكام والقيم الاجتماعية وبالتالي فليست وظيفة فعل القراءة قائمة على هذه المفاهيم بل هي الولوج إلى الحقيقية الخفية التي يتضمنها معنى النص والتي على المتلقي

1-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية الى القراءة - ص101.

2-المرجع نفسه: ص101.

كشفها عند ممارسته لفعل القراءة حتى يحصل على فهم كامل للنص، ومنه "فالقارئ ليس كائن منعزلاً في الفضاء الاجتماعي ولا يمكن تحويله إلى مجرد كائن يقرأ فهو بواسطة التجربة التي توفرها له القراءة يساهم في سيورة وتواصل العمل الأدبي"¹، هذا ويرى علي آيت أشان أن مفهوم القراءة في هذه النظرية يختلف عنه في النظريات السابقة وذلك لأن "القراءة عندهم فعلاً مركباً ذلك أنها ليست فعلاً بسيطاً نقوم به ونحن نمرر البصر على السطور، وليست أيضاً بالقراءة التي نكتفي فيها بإعادة تلقي الخطاب بشكل سلبى... إنها فعل خلاق، إن القارئ وهو يقرأ يخترع ويخترق ويتجاوز ذاته نفسها مثلما يتجاوز المكتوب أمامه،² بعد أن كان مهملاً عند الاتجاه البنيوي الذي ركز على النص الأدبي أو البنية اللسانية الحاملة للدلالة والمنتجة لها و المكتفية بذاتها وحاول مقارنة النص الأدبي بوصفه بنية مغلقة إضافة إلى التعارض الحاصل بين اتجاهين في ألمانيا والذين يتمثلان في المذهب الماركسي في النقد ومذهب الشكلانية الروسية حيث نجد الأول "قائم على أساس أن القارئ الماركسي يتعامل مع النص الأدبي من خلال التفسير المادي للتاريخ-فهو في نظر ياكوس- قارئ يستقبل النص تحت وطأة الجبرية المذهبية لتقاليد ماركس، وبالتالي فهو معزول تماماً عن جمالية النص"³ أما القارئ في مذهب الشكلانية الروسية؛ "فهو يستقبل النص معزولاً عن مواقفه التاريخية، وغايته وهمه أن يقف عند البناء الشكلي"،⁴ أما ياكوس فقد حاول تجاوز هذين الاتجاهين والبحث عن رؤية جديدة تضع القارئ في موضعه المناسب من النص وذلك انطلاقاً من الانتقادات التي وجهها "للاتجاهات الوضعية و الشكلانية الماركسية، حاول بناء تصور جديد لمفهوم المتلقي فلم يعد هذا العنصر الأخير هامشياً وخارجاً عن العمل الأدبي."⁵ فهو يضيف على النص أبعاد تجعل من

1- هانس روبرت ياكوس: جمالية التلقي -من أجل تأويل جديد للنص نثر رشيد بنحدو، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004 ص134.

2- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية إلى القراءة-ص102.

3- محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجمالية التلقي-بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي-دار الفكر العربية، ط1، 1996، ص27.

4- المرجع نفسه:ص27.

5- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة-ص103.

النص ذا قيمة نظرا للأثر الذي يتركه القارئ والذي يعتبره ياوس طرف أساسي وضروري في تقييم العمل الأدبي، هذا وقد بدا مهتما بالعلاقة بين الأدب والتاريخ حيث تحدث عن "كيفية إعادة بناء تاريخ للأدب يقوم على بنية المتلقي لأدب على أساس التسلسل الزمني تبعا للحقب والعصور".¹

وبذلك يتتبع حركة تفاعل النص مع القارئ فبدلا من التساؤل عن تاريخ النصوص، يتساءل عن تاريخ تلقي هذه النصوص، بعد أن كان مقوم التاريخ عند البنائيين هو تاريخ التطور الداخلي للبنية أصبح تاريخ التطور خارج البنية وضمن السلسلة التاريخية للتلقي في تصور جديد لتاريخ الأدب، يقول ياوس: "إن النص الذي نقرأه لا يمكن فصله عن تاريخ استقباله، وأن الأفق الذي يبدو فيه أولا (ربما يكون) مختلفا عن أفقنا أو جزء منه... فالنص وسيط بين الأفاق وحيث إن أفق الحاضر يتغير فان طبيعة اندماج الأفاق تتعدل كذلك"،² فقراءة النص من طرف المتلقي عند ياوس لا تدخل ضمن إطار استهلاكي محض بل هي مرحلة ظرفية لإتمام عملية إنتاج العمل الأدبي نفسها، وذلك انطلاقا من كون القراءة نشاط مكثف وفعل متحرك، كما أنها توليد يحاول معه القارئ استكشاف وسبر أغوار النص وهنا نجد ياوس قد حدد معيارين للتعامل مع النص وهما: "مقياس الإدراك الجمالي لدى المتلقي، ومقياس الخبرات الماضية التي يتم استدعائها في لحظات التلقي، وذلك أن الخبرات الجمالية التي كشف عنها التعامل مع النص بواسطة القراءة في عصور سابقة هي بمثابة دليل يساند، ويغني في سلسلة الاستقبالات من جيل إلى جيل"،³ وهنا يقصد سلسلة الاستقبالات تعدد القراءات وذلك لأنه وعلى حد قول أشان، "إن من خصائص العمل الأدبي أنه يخلق قراء جدد في كل حقبة فلكل زمن قراءه كما أن لكل قارئ قراءته".⁴

وبهذا يمكن للقراء المتأخرين أن يطلعوا على استجابات القراء الأوائل وبذلك يتطور موروث تاريخي من التفسيرات والتقييمات النقدية لكل عمل أدبي مما يبرز الطبيعة الجمالية لهذا العمل عبر الاستجابات

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية الى القراءة - ص 103.

2- محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي - بين المذاهب العربية الحديثة وتراثنا النقدي - ص 30.

3- المرجع نفسه: ص 28.

4- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية الى القراءة - ص 103.

المتراكمة للقراء على مدى الزمن ومنه "فلن هذه العلاقة لا تقوم على فراغ فقدرة المتلقي على منح النص الأدبي تحققه و راهنيته قدرة يكتسبها من خلال قراءة النصوص السالفة التي تشكل مخزوننا مرجعيا يتم تلقي النص الجديد على أساسه،"¹ وهنا يجدر الإشارة إلى ما يسمى أفق الانتظار والذي يبنى على أساس معرفة القارئ المسبقة لمجموعة من التقاليد والأعراف التي تميز الأجناس الأدبية عن بعضها، هذا التمييز الذي لا يمكن أن يكون إلا بالممارسة التي تمكن القارئ من معرفة تلك التغييرات التي تصيب التقاليد والأعراف الفنية بين الحين والآخر فحين يشرع المتلقي في قراءة عمل أدبي حديث الصدور فإنه ينتظر منه أن يستجيب لأفق الانتظار، أي أن ينسجم مع المعايير الجمالية التي تكون تصوره الخالص للأدب، ونقصد بأفق الانتظار هنا حسب مفهوم بشرى موسى "هو الفضاء الذي تتم من خلاله عملية بناء المعنى ورسم الخطوات المركزية للتحليل، ودور القارئ في إنتاج المعنى عن طريق التأويل الأدبي؛ الذي هو محور اللذة ورواقها لدى جمالية التلقي، إذا ما كان الوسط اللساني هو محور اللذة ورواقها عند البنائيين.²" هذا وتتألف الأنظمة المرجعية لأفق الانتظار عند ياكوس من ثلاث عوامل رئيسية وهي التجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور عند الجنس الذي ينتمي إليه النص وشكل الأعمال السابقة وموضوعاته التي يفترض معرفتها والتعارض بين اللغة الشعرية واللغة العلمية أي التعارض بين العالم التخيلي و الواقع اليومي وقد بين لنا أشان أن أفق الانتظار بالغ الأهمية بالنسبة لنظرية التلقي فهي "بإعادة تشكيلها لأفق الانتظار في لحظات تاريخية مختلفة تثبت تاريخية العمل وحداثته وتعيد النظر في البداهة الخاطئة التي تقول بوجود ماهية شعرية لا زمانية دوما معاصرة يكشف عنها النص الأدبي،"³ وهنا يقصد بالبداهة الخاطئة فكرة وجود معنى موضوعي وثابت يمكن إدراكه من طرف القارئ في كل عصر ومن هنا يحيلنا الحديث على أفق الانتظار إلى الحديث عن المسافة الجمالية؛ "وهي مفهوم يقوم على التعارض الذي يحصل للقارئ أثناء مباشرته للنص الأدبي كمجموعة من المحمولات الموسومة الفنية الثقافية، ويبين عدم استجابة النص لتلك الانتظارات والتوقعات

1 علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة - ص103.

2- بشرى موسى صالح: نظرية التلقي -أصول... وتطبيقات -المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، 2001، ص 45.

3- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري -من البنية إلى القراءة - ص104.

فيقف القارئ هنا ليبيّن أفقا جديدا عن طريق اكتساب وعي جديد قد يكون مقياسا يعتمد عليه في التأريخ للأدب.¹ ومن هنا نجد أشان قد حدد ثلاث أفعال يقوم بها القارئ انطلاقا من الفرق بين كتابة المؤلف وأفق الانتظار والمسافة الجمالية وهي:

"- الاستجابة، ويترتب عنها الرضى والارتياح لأن العمل الأدبي يستجيب لأفق انتظار القارئ وينسجم مع معايير الجمالية.

- التغيب، ويترتب عند الاصطدام لان العمل الأدبي قد خيب أفق انتظار القارئ.

- التغير، أي تغير أفق الانتظار.²

ومنه وانطلاقا من المسافة الجمالية التي يرى أشان أنها تخلص المتلقي من العادات المفروضة عليه وتحرره وذلك عبر ثلاث مستويات وهي:

"- مستوى الإنتاج: حيث يخلق الوعي عالمه.

- مستوى التلقي: حيث يستغل الوعي، بما هو نشاط استقبالي إمكانية تحديد ادراكه للعالم.

- مستوى التأمل والذي يستخلص القواعد من الفعل.³

ومنه يتضح أن "ياوس" قد ركز على إعادة بناء تاريخ جديد للأدب يكون المتلقي محوره القائم على سيرورته التاريخية والمحددة لجماليته كما سعى من خلال مشروعه هذا إلى تخلص الأدب الألماني من الأزمة التي كان يتخبط فيها تحت وطأة الجبرية المذهبية لتقاليد ماركس وتقاليد الشكلية الروسية حيث عمل على الربط بين التاريخ و الأدب والدعوة إلى التوحد بين تاريخ النص وجمالية هذا التاريخ الذي يتخلله تاريخ يؤدي دور

1 - أحمد أبو حسن: نظرية التلقي والنقد الغربي الحديث، مجلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط سلسلة ندوات ومناظرات، ع، 24، 1993، ص 30.

2- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية الى القراءة - ص 104

3- المرجع نفسه: ص 105.

واعي يصل الماضي بالحاضر.

أما بالنسبة لآيزر فقد اعتنى بعدد من القضايا والمشكلات الأدبية من خلال ما كان يفرضه من أن المتلقي هو المنطلق الأول لفهم الأدب، لكن نظريته تختلف عما جاء به "ياوس" لأن "المتلقي عنده عنصر بالغ الأهمية ليس من أجل بناء نظرية حول الأثر الذي يحدثه العمل الأدبي في المتلقي".¹

هذا وقد اهتم آيزر بالتفاعل بين القارئ والنص وذهب إلى أن النص يحتوي على عدد من الفجوات والعناصر غير المحددة وأن على القارئ أن يملأ هذه الفجوات ذاتيا عن طريق المشاركة الخلاقية مع ما هو معطى في النص الذي أمامه ومن هنا صنف الباحثون القراء إلى :

"-القارئ النموذجي: L'arclulecteur عند "ريفاتير" Riffaterre والمقصود به مجموعة قراء يملكون قدرات مختلفة ويعملون جميعا على تلمس الدرجة العليا من فك النص باعتباره مظهرا أسلوبيا".² ومنه يرى آيزر أن على القارئ أن يكون نموذجيا للتححرر من التحيزات الإيديولوجية وأنه إذا لم يسعى إلى تحرير نفسه من التحيزات، فإنه لن يستطيع قراءة النص قراءة صحيحة ويرى أيضا أن العمل الأدبي ليس نصا بالكامل كما أنه ليس ذاتية القارئ ولكنه تركيب أو التحام من الاثنين وقد تحدث أشان عن نوع آخر من القراء وهو القارئ الخبير والذي ينطوي على مجموعة من الشروط و هي :

"-يتكلم بطلاقة اللغة التي كتب بها النص.

-يمتلك معرفة دلالية كمستمع تمكنه من الفهم.

-يمتلك قدرة أدبية".³

أما القارئ المخبر فيرى آيزر أن مفهومه عند "ستنتالي فيش" قد تبلور استنادا على النحو التالي للتحويلات ذلك أن "البنية السطحية تنتج لدى القارئ حدثا ينبغي أن يعاش إلى النهاية قبل أن تصل به

1 - علي آيت أشان: السياق والنص الشعري-من البنية الى القراءة، ص105.

2 - المرجع نفسه:ص106.

3 - المرجع نفسه: 106.

إلى البنية العميقة.¹

ويعلق آيزر على هذا بأن النص يتعرض لتفكير مجرد الإحالة إلى نحو النص ، ذلك أن نظريته تحاول أن تبرهن عدم كفاءة التحليل اللساني للنص الذي يختزله باستمرار إلى أنظمة لسانية هي صورة لنظام عقلي أعلى ولذلك فإن الدور الذي يؤديه القارئ المخبر من خلال استعراض كفاءته للوصول إلى النواة اللسانية ، هو دور يختزل "الفهم" إلى عملية تحويلات البنية السطحية إلى البنية العميقة . كما عرف أشان قارئ آخر هو "القارئ المقصود La Lecteur visé عند وولف Wolff وهو فكرة القارئ كما تشكلت في ذهن الكاتب" ²؛ أي الصورة التي يكونها المؤلف عن القارئ ، إذ تظهر أشكالاً مختلفة داخل النص وهي التي تحدد نوع القارئ في استطاعته إعادة توليد القارئ المثالي ويمكنها أن ترتسم في ضوابط وقيم القارئ المعاصر والمواقف . والمقاصد التربوية و الاستعدادات المتطلبة من أجل التلقي، وهذا المفهوم يبين أن ثمة علاقة بين شكل تقديم النص والقارئ الذي هو موجه إليه ولقد انتقد آيزر هذا المفهوم عندما وجد أن صورة القارئ تكشف عن بعض المعطيات التاريخية التي كانت حاضرة في ذهن المؤلف وهو يضع نصه ويتساءل: كيف يستطيع قارئ مبتعد تاريخياً عن النص أن يفهمه في حين أن النص لم يتوجه إليه؟

ووجد آيزر أن القارئ المستهدف ليس سوى واحد من آفاق النص، وعلى العكس من ذلك فإن هذا القارئ هو إعادة بناء مفهوميته تمثل الاستعدادات أو القابليات التاريخية للجمهور الذي هو مرمى المؤلف وهنا "لا يقصد آيزر بالمتلقي القارئ المتجسد والفعلي للنص بل يقصد به قارئاً ضمناً تجريبياً" ³. والذي يختلف مفهومه عن أصناف القراء الذين مر ذكرهم في أنه ليس له أي وجود حقيقي فهو يجسد مجموع التوجهات الداخلية للنص، كي يتيح لهذا الأخير أن يتلقى.

ويعيزر آيزر بين نمطين من القراءة:

"-القارئ المعاصر: Le lecteur Contemporaine.

1 - ميشال ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، تر حميد الحميداني، منشورات دار سال، المغرب، ط، 1، 1963، ص 1-23.

2 - علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية إلى القراءة-ص 106.

3 - المرجع نفسه:ص 106.

القارئ المثالي : Le Lecteur Ideal¹.

وقد فرق أوشان بين هذين القارئين حيث يتمثل الأول في المتلقي الذي يباشر عملية القراءة أي يحققها ، أما الثاني ؛فهو ذلك المتلقي النموذجي الذي يفرضه النص الأدبي والذي يملك تماما نفس سنن الكاتب حتى يتمكن من فك المعنى الكلي للعمل التخيلي ،وهو بناء خالص بحيث يمتلك دليل المؤلف نفسه، فضلا عن أنه يفك الشفرات المتحركة في نظام النص ،ويكون مطلوبا منه أن يفصح عن المقاصد أيضا ،وعليه أن يكون قادرا على استنفاد معنى التخييل ، ومن هنا فالقارئ المثالي خلافا للأصناف الأخرى من القراء ،هو تخيل يفتقد إلى كل مرتكز واقعي ،وفي هذا بذات تكمن أهميته بوصفه تخيلا فانه يملأ الثغرات التي تفتتح خلال تحليل العمل و التلقي الأدبيين ،ويستطيع بفضل مزاجه التخيلي أن ينسب إليه مضامين متغايرة بحسب نوع المشكل المطلوب حله .

¹علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية الى القراءة- ص106.

-ثالثا: الآراء النقدية لـ "علي آيت أشان من خلال كتابه:

1- مفهوم السياق لغة:

يرى علي آيت أشان أنه يمكن تقسيم القواميس التي تناولت مفهوم السياق الى قسمين:

"-قواميس عامة عاجلت لفظ السياق معالجة عامة انطلاقا من عدم تقييدها باستعمال محدد له.

-قواميس متخصصة جعلت من لفظ السياق مصطلحا محددًا بدلالات دقيقة، خاصة

وأن هذه القواميس ترتبط أساسا بحقل اللسانيات والسميائيات لذا فإنها عاجلت مصطلح السياق كما هو

مشغل ومتداول في الدرس اللساني والسميائي بنوع من الوعي النظري والمنهجي.¹

كما أشار إلى أن القواميس العربية لم تهتم بهذا المصطلح وأورد مفهوم السياق من خلال ثلاث قواميس عربية وهي: لسان العرب، المعجم الوسيط، أساس البلاغة وهو يرى أن هذا الأخير يختلف عن المعجمين السابقين في تعريفه لمفهوم السياق حيث يقول: " نلاحظ من خلال ما قدمه الزمخشري انتباهه إلى دلالة أخرى للفظ السياق أوردتها في الاستعمال المجازي للفظ حيث ربط بين لفظ السياق والحديث. " 2 ويرى أن القواميس العربية ضيقت مفهوم السياق " ولم تواكب التحول الذي يعرفه المجتمع الغربي وطبيعة المعارف السائدة لأن خاصة على مستوى المصطلح إلى درجة يمكن القول معها أن القاموس العربي قديمه وحديثه يعاني من فقر مصطلحي، فعالبا ما يتم إهمال المصطلح أو التضييق من أفق اشتغاله. " 3 أما بالنسبة لسياق في القواميس الغربية فهو يرى أن هذه الأخيرة قد تعاملت مع السياق كمصطلح وهي تعي حمولته المعرفية خاصة في الدرس اللساني و السيميائي، فقد عرضت له عن وعي وعرفت به وشرحته وبينت حمولته المعرفية مغنية بذلك المسار العلمي لهذا المصطلح كما أنه يرى أن التحكم في المصطلح هو في الواقع تحكم في المعرفة المراد إيصالها والقدرة على ضبط مختلف أنساقها.

1-علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية الى القراءة: ص106.

2-المرجع نفسه -ص27.

3-المرجع نفسه :ص30.

-السياق وعلاقته بالمعنى والتراكيب والمرجع:

يرى أن السياق يساعد على فهم المعنى حيث "تأتي علاقة السياق بالمعنى من كون العديد من الملفوظات لا يمكن تحديد معانيها بدقة إلا بمعرفة سياقها الذي وردت فيه، فعادتا ما يسأل شخص عن معنى كلمة فيضطر إلى التساؤل عن سياقها الذي وردت فيه،" 1 كما يؤكد على أهمية اللغة بالنسبة للنص الأدبي حيث يلخص ذلك في كون "اللغة التضمينية هي التي تؤسس النص الأدبي وتمده بما هو جمالي وشاعري، فالأدب لا يتأسس إلا بتحرره مما هو معجمي تقريرى." 2 كما شدد على أهمية السياق من خلال علاقته بالمعنى حيث جعل من المعنى ضرورة ملحة لا يمكن تحقيقها في غياب السياق وهنا "يتضح ان للمعنى علاقة وطيدة بالسياق إذا يعتبر المعنى مسألة ضرورية وحاسمة يتوقف عليها تحديد سياق الكلام، وان كان تحديد مفهوم المعنى جد صعب " 3.

كما يرى إن السياق لا يخرج عن إطار التركيب والتي تشكل مجموعة من العناصر اللغوية المؤلفة فيما بينها ومن هنا جعل من الكلمة ذات معنى وليس لها دلالة معتبرا الدلالة من خصائص الجملة بصفتها لا تتوفر إلا بتوفر التركيب فالمعنى يمكن أن يوجد دون تراكيب ولكن الدلالة "يستحيل ان توجد بدون تراكيب" وقد انطلق من كون أصحاب النحو التآلفي اعتبروا انهما وجود لأي قيمة للعنصر اللغوي خارج المعطى التواصلى أي التركيبي، كما أكد على دور المرجع في الدراسة السياقية كونه "هو الشيء الذي تحيل عليه العلامة اللسانية وقد يكون المرجع ماديا وملموسا، وقد يكون متخيلا" 4 وجعل منه عنصرا مهما من عناصر السياق "حيث تكمن قيمة المرجع في أن اتصالنا بالأشياء لا يكون في الغالب مباشرا أي ماديا ملموسا، وإنما نضع بيننا وبينها المفاهيم والتصورات(اللغة)، ومن ثم فان الإشارة إلى المرجع والاهتمام به في إطار

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية إلى القراءة- ص39.

2- المرجع نفسه: ص43

3- المرجع نفسه: ص46..

4- المرجع نفسه: ص46..

علاقته بالسياق شيء لا غنى عنه.¹

كما يرى أن النص الأدبي معزول عن المرجع لكون الأدب يختلف عن غيره من العلوم لأن للأدب مجال له خصوصياته والتي قد ترجع بالأساس إلى طبيعة لغته التي تتميز عن غيرها من المستويات اللغوية الأخرى ويلخص هذا في خاصيتين:

"- أنه يتم الانتقال من اللغة العادية المؤسسة على الوظيفة المرجعية إلى لغة ثانية مؤسسة على الوظيفة الجمالية.

- إن الألفاظ في مجال الأدب تتحرر من دلالتها المباشرة والحرفية، ذلك أن العلاقة بين الدال والمدلول تتخلل وتترأخى من الدلالة الأحادية فالدال لم يعد يحيل على معنى واحد، بل على معاني متعددة نتيجة الانتقال من معنى واحد بل على معان متعددة نتيجة الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الإيحائي.²

- السياق عند العرب:

يرى علي آيت أشان بأن لا بد من الرجوع إلى التراث "لأن هذا التراث غني وقد ارتبط بممارسات معرفية عديدة فرضت حضور معطيات عامة تتعلق بالسياق"،³ وخصوصية عنها لان هناك مباحث عديدة يمكن للباحث الانطلاق منها كالبلاغة والنقد الأدبي والتفسير وعلم أصول الفقه والفلسفة والتصوف وقد ركز في دراسته على علم أصول الفقه لأنه يرى أن "دوافع الأصوليين أساسا كانت تسعى إلى محاولة كشف وتحليل دلالة الألفاظ وعلاقتها بالمعاني حيث وجدوا لهذه العلاقة عدة اعتبارات وقسموها إلى أربعة أقسام،"⁴

والتي يمكن اعتمادها لدراسة مسألة الدلالة اللغوية وكذا بعض القضايا التداولية والتي تبرز اهتمام الأصوليين بمختلف أشكال العلاقة التي تربط اللفظ بالمعنى سواء على المستوى المعجمي أو التركيبي أو السياقي، فقد

1- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية إلى القراءة - ص 49.

2- المرجع نفسه: ص 50.

3- المرجع نفسه: ص 113.

4- المرجع نفسه: ص 114.

أدركوا أن لسياق دور مهم فهو يتدخل في الإنجاز ،ويكاد يكون فهم الخطاب أحيانا موقوفا عليه كما يرى

أشان أن الأصوليين قد اعتنوا بالأمر والنهي عناية خاصة وذلك انطلاقا من اهتمامهم بالمستوى التداولي دون الاقتصاد على المستوى الصرفي أو المعجمي أو التركيبي وهذا يعني "أنهم حاولوا أولا ضبط دلالة الصبغة منفردة عن السياق (الدلالة المعجمية) أو ما يعبر عنه (بأصل الدلالة) تليها المرحلة الثانية الخاصة بالسياقين اللفظي والحالي وقد اهتم. الأصوليين في هذا المستوى بالسياق لأنه الوسيلة الأساسية لتحديد المعنى،"1 كما يرى أن السبيل الوحيد لضبط دلالة المشترك اللفظي لا يكون إلا بالرجوع إلى سياق اللفظ وذلك نظرا لأن بعض الألفاظ لا يمكن أن تستقر دلالتها المقصودة إلا اعتمادا على السياق.

هذا وقد توصل أوشان إلى أن الأصوليين قد انطلقوا في دراستهم من تحديد مجموعة من المفاهيم والمتمثلة في الحقيقة وأقسامها ومفهوم المجاز حيث أدركوا أن هذه المفاهيم "كلها مستويات تفيد التفات الأصوليين إلى مسألة السياق بمعناه الواسع ودوره في تحديد المعنى المقصود،"2 كما يرى بأن هناك فرق بين الدلالة الحنفية والشافعية فهي ليست على مرتبة واحدة ، وفي الأخير خلص إلى مجموعة من النتائج فيما يخص السياق عند الأصوليين وهي ؛أنهم اهتموا بالأدوات الإجرائية التي تضمن تماسك الخطاب وانسجامه، هذا ويعد أشان أن آراء الأصوليين حول السياق ما تزال غير ناضجة وتحتاج إلى دراسات لسانية حديثة لأن المصطلحات الحديثة التي عرفها الغرب لم تكن موجودة في ثقافتنا العربية بنفس الحمولة المعرفية من قبل هؤلاء ،وختم دراسته بمجموعة من النتائج وهي:

- "-تفرد الأصوليين بتصورات لغوية لا نجد لها نظيرا عند غيرهم.
- إقرارهم بحقائق لغوية عديدة تجعلهم يتقاطعون مع الدرس اللساني الحديث خاصة الدلالي والتداولي.
- محاولة وضع قواعد وضوابط ومصطلحات غاية في الدقة تثبت ارتكاز نظرياتهم اللغوية على أساس عقلي ومنطقي و الاهتمام بكل مستويات السياق."3

1 - علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية إلى القراءة-ص123.

2 - المرجع نفسه: ص123.

3 - المرجع نفسه: ص130.

-السياق عند الغرب:

انطلق أوشان في تحديده للسياق عند الغرب من التداولية حيث يرى أن الأعمال التداولية حالياً قد حققت تراكماً من الكتابات تسعى كلها إلى تجاوز الأشكال اللغوية (الأصوات-المعجم-التركيب-الدلالة) إلى مسألة الاستعمال وفي هذا الإطار يتم الاهتمام بالسياق (Le Contexte) وأخذ بعين الاعتبار كعنصر أساسي في عملية الإنتاج اللغوي، كما لاحظ أن قيمة البحث التداولي تأتي من كونه يسعى إلى الإجابة عن بعض الطروحات اللسانية السابقة كما يرى بأن الخطاب التداولي محمل بمجموعة من الأسئلة من قبيل:

"-هل التداولية مجرد خطاب تلحق به القضايا اللغوية التي يهتمها التركيب والدلالة أو أنها اتجاه لا يمكن لباقي مستويات الدرس اللغوي الأخرى الاستغناء عنه؟

-ألا يمكننا الجمع بين مختلف الاتجاهات التداولية في اتجاه موحد منسجم؟

-هل يمكن اختزال التداولية وإدماجها في الدلالة أو جعلها جزءاً من نظرية سيميائية؟¹.

كما أنه وانطلاقاً من النمطية الرباعية الأجزاء والتي تتمثل في أنواع السياق الأربعة وهي: السياق الظرفي والسياق المقامي التداولي والسياق التفاعلي والسياق الإقتضائي والتي تأسست على "نظرية غير شكلية وكيفية نسبياً وهي تعطينا أربع أنماط من السياقات كما نعرّض على مفهوم موحد للسياق، ينظم إلى العوالم انطلاقاً من معالجة شكلية وتوسيعية للتداولية"²، وفي هذا يرى بأن هذا المفهوم الموحد يسمح بنمو تداولية محضّة موضوعها هو معالجة ما يعود في اللغات الطبيعية إلى الشروط العامة للتواصل كما يرى أن الاهتمام بالسياق والتنظير له: أداة إجرائية قد أخذ مساراً عميقاً في البحث التداولي بمختلف اتجاهاته باعتبار "السياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة، حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، ويمكننا من تحديد العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في استعمال اللغة وأي استغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوترة"³، هذا ويرى أوشان أنه وبالعودة إلى النص الذي يشكل من مظاهر

1 - علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية إلى القراءة-ص58.

2 - المرجع نفسه: ص60.

3 - المرجع نفسه: ص62.

معقدة تتمثل في الممارسات النصية والتواصلية لذا علينا أولاً أن نتساءل أولاً عن الخصائص التي تتصف بها النصوص الأساسية متجاوزين استخراج خصائصها الداخلية إلى خصائصها الخارجية، أي الشروط التي تخضع لها في سياقات معينة، ووظيفتها وأثرها في هذه السياقات، مع تحديد العلاقة القائمة بين النص (بنية النص) والسياق.

تَمِمْ

بناء على ما تقدم عرضه في فصول هذا البحث سجلت مجموعة من النتائج التي توصلت إليها والتي أوجزتها في الآتي:

- لقد كان للعرب فضل السبق والريادة في التأصيل لنظرية السياق لما قدموه من ثروة علمية في بحثهم عن دلالة الألفاظ وطرق التوصل الى معنى الخطاب ومراتب الفهم ، كما تمثلت في دراستهم أركان نظرية السياق الحديثة بوضوح ودقة ولكنهم مع ذلك اقتصروا على دراسة النص الشرعي فقط ولم يعرف لفظ السياق بوصفه مصطلحا تعريفا صريحا جامعاً مانعاً بل جل ما ورد من بيان له إنما كان ينصب على توضيح معناه الاستعمالي في عبارات معينة لكن المتتبع لاستعمالاتهم يجد أن هذه اللفظة تطلق ويراد بها أمران اثنان :

- الكلمات والعبارات المكونة والسابقة واللاحقة للفظ ، وقد تستخدم مقرونة بلفظ السياق فيراد بالسياق ما لحق اللفظ وبالسياق ما سبقه؛ أي الغرض الذي جاء من أجله الكلام ، ولذلك تجدهم يقولون: "سيق الكلام لغرض كذا".

- والأمر الثاني وهو الأهم في معرفة الدلالة السياقية واستخراجها إذ بمقتضاه يدخل في البحث عن دلالة السياق ، جميع ما يكتنف اللفظ من قرائن مقالية وما يحيط به من قرائن مقامية بوصفها أداة للتوصل الى الغرض الذي سيق لأجله الكلام، فعدت هذه النظرية أفضل منهج لدراسة المعنى بسبب ما تميزت به من عناية بالعناصر اللغوية وغير اللغوية، حتى أصبحت نظرية ذات جدوى وتأثير في دراسة المعنى وتفسيره.

- السياق لم يكن وليد المدارس اللسانية الحديثة بل إن جذوره تمتد إلى أعماق الدراسات اللغوية والدلالية الانسانية عموماً والعربية خصوصاً فقد كان قدماء اللغويين يستعينون على شرح اللفظة ، لاسيما المشتركة بسياقها الذي ترد فيه، واعتبروا الترادف دليل ثراء العربية، لا يقدح في سموها وتفوقها لأن اللفظة المترادفة يعرف معناها من السياق حيث يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر.

- ارتبط النحو في مفهومه العام بالسياق اللغوي وقد ظهر أثره جلياً في الدراسات النحوية القديمة عن طريق دراسة النحويين للجملة ووضعهم القواعد والأصول التي تتحكم في الترتيب بين أجزائها، على الرغم من أنهم لم يشارروا إلى السياق بلفظه صراحة .

- إرتبط السياق عند البلاغيين بالمقام والمقال وهو السياق الخارجي المتمثل في؛ مجموع الشروط التي تتحكم في عملية الإنتاج وتلقي الخطاب، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الحضارية والثقافية المحيطة بهذه العملية، إضافة الى مستويات متلقي الخطاب، حتى يتوصل الى الغاية من بثه.
 - أدرك الأصوليين عناصر السياق المختلفة بشقيه اللفظي والاجتماعي وضرورة الاستعانة به للكشف عن المعنى وتحده.
 - المفسرين كانوا من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق وإستعانوا به كوسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد لشارع الحكيم، حيث إعتمدوا على السياق بنوعيه سياق النص وسياق الموقف.
 - أما السياق عند الغرب فقد قامت المدرسة الإنجليزية على أساس السياق وكان جزءا أساسيا من منهج فيرث في التحليل اللغوي حيث ينقسم السياق عندهم الى نوعين هما السياق اللغوي وسياق الحال.
 - إذا كان السياق في مفهومه العام هو ما يسبق أو يلحق الوحدة اللغوية من وحدات فإنه في اللسانيات يمتد ليشمل كل الظروف التي تحيط بالنص مما له صلة بالمخاطب والمخاطب والمقام ككل.
 - إن السياق هو أحد جوانب الدلالة التي تتصل به اللغة و لا تكاد تنفصل عنها لاسيما في جانبها اللغوي.
 - إن القدماء لم يهملوا السياق بل كان جزء من منهجهم العام في التعامل مع معنى النص.
- وفي الأخير أنا لا أدعي لدراستي كمالا ، فإنه لا يخلو أي بحث من النقائص لذا أرجو من زملائي الباحثين أن يقدموا دراسات أفضل فيما يخص موضوع السياق، وأرجو أن يكون جهدي المتواضع قد ساهم بدراسة تكون نبرسا وضياءا للدراسات اللغوية المتخصصة، فان أنجزت ما سعت الى إنجازه وأصبت فيما رأيت ووفقت فيما عملت ، ووفيت فيما قدمت ، فذلك من فضل ربي ، وإن وهنت أو قصرت أو أخطأت فلي عبرة وسلوة فيما قاله القاضي الفاضل :لأني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده :لو غير هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر .

قائمة المطبوعات والمراسل

-القرآن الكريم: برواية ورش عن الايمام نافع، القبس للطباعة والتوزيع، دمشق، سوريا.

المصادر:

- 1-ابن تيمية: (مجموع الفتاوى)، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد النجدي، دد، دط، 1977.
- 2-ابن جني: الخصائص، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، دت.
- 3-ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح محمد عبد القادر، أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج1.
- 4-ابن كثير: تفسير القرآن، دد، دط، دت.
- 5-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط5، 2005، مج 7-14.
- 6-ابن فارس: مقاييس اللغة، تح هارون عبد السلام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1971.
- 7-الجاحظ: البيان والتبيين، تح درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2003، ج1.
- 8-الخطيئة: ديوان، رواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيدة محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
- 9-الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح أبو الفضل إبراهيم، دارالجيل، بيروت، دط، 1987، ج1.
- 10-الزمخشري: أساس البلاغة، دار بيروت لطباعة والنشر، دط، دت.
- 11-الفيروزيادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، تح محمد نعيم العرقسوسي، ط6، 1998.
- 12-الشافعي: الرسالة، تح أحمد شاکر، دط، دت.
- 13-جلال الدين عبد الرحمان السيوطي: الاتفاق في علوم القرآن، تح مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط3، 1995.
- 14-عبد الرحمان بن ناصرة السعدي، تيسير الرحمان الكريم في تفسير كلام المنان، مركز صالح بن صالح الثقافي عنيزة، المملكة السعودية، ط1، 1986، ج1.

15- عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العلمية، ط3، دت.

16- علي آيت أشان: السياق والنص الشعري - من البنية الى القراءة- مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000.

17- سيبويه: الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2، 1983.

-المراجع العربية:

1- ابن القيم الجوزية: الأمثال في القرآن ، تح إبراهيم محمد ، مكتبة الصحابة، طنط ، ط1، 1985.

2- أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، اعراب القرآن ، تح زهير غازي، عالم الكتب الرياض، ط3، 1988.

3- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب ، القاهرة، ط5، 1998.

4- الأزهر الزناد: نسيج النص - بحث في ما يكون به الملفوظ نصا- المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.

5- بشرى موسى صالح: نظرية التلقي - أصول... وتطبيقات - المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 2001.

6- تمام حسان: اللغة العربية معانيها ومبانيها، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، دط ، 1994.

7- حسام أحمد فرج: نظرية علم النص - رؤية منهجية في بناء النص النثري - مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006.

8- حسن الواد: في مناهج الدراسة الأدبية ، دار سراس، تونس، دط، 1985.

9- حسن خمري: نظرية النص - من بنية المعنى الى سميائية الدال - الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، ط1، 2007.

10- حسن عبد الجليل يوسف: عام البيان بين القدماء والمحدثين - دراسة نظرية وتطبيقية - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، ط1، 2006.

- 11- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية-محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم- بيت الحكمة لنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- 12- طاهر محمود: دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية لطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، دط، 1983.
- 13- محمد الأخضر الصبحي: مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ن 2008.
- 14- محمد الأمين الشنقيطي: أضواء على البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1992.
- 15- محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، كلية الآداب، المؤسسة العربية للتوزيع، منوبا، تونس، ط1، 2000.
- 16- محمد حناش: البنيوية في اللسانيات دار الرشاد الحديثة، ط1، 1980.
- 17- محمد خطابي: لسانيات النص -مدخل الى انسجام الخطاب -مركز الثقافة العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
- 18- محمد حماسة عبد اللطيف: النحو الدلالي-مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، القاهرة، ط1، 1983.
- 19- محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
- 20- محمد عزام: - النص الغائب وتحليلات التناس في الشعر العربي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2001.
- 21- محمد عزام: تحليل الخطاب على ضوء المناهج النقدية الحديثة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2003.
- 22- محمود السعران: علم اللغة، دار الفكر العربي، ط2، 1997.
- 23- محمود محمد عيسى: السياق الأدبي-دراسة نقدية تطبيقية-جامعة المنصورة، دمياط، دط، 2004.

- 24-محمود عباس عبد الواحد:قراءة النص وجمالية التلقي — بين المذاهب العربية الحديثة وتراثنا النقدي- دار الفكر العربي، ط1، 1996.
- 25-نادية رمضان النجار: اللغة العربية وأنظمتها، دار الوفاء، الإسكندرية ،مصر، دط، دت.
- 26-نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص-دراسة في علوم القرآن-الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990.
- 27-نور الدين صدوق: حدود النص الأدبي-دراسة في التنظيم والابداع-الدار البيضاء ،دار الثقافة، ط1، دت.
- 28-نور سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي —المبادئ والاجراء-بيت الحكمة ،الجزائر، ط1، 2009.
- 29-صالح بلعيد: نظرية النظم ،دار هومة الجزائر، دط، 2004.
- 30-صالح كشو: مدخل في اللسانيات ،الدار العربية للكتاب، دط، 1985.
- 31-صالح إسماعيل عبد الحق : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دارالتنوير للطباعة والنشر، دط، 1993.
- 32-صالح الدين زروال: الظاهرة الدلالية-عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري- العربية للعلوم منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
- 33-صالح فضل: النظرية البنائية في النقد الأدبي ،دار الشروق ،القاهرة ،مصر ،ط1، 1998.
- 34-صالح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية لنشر لوئحمان القاهرة، دط، 1996.
- 35-صالح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، دس.
- 36-عبد الله إبراهيم: التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط2، 2005.
- 37-عبد الله الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة ،بيروت، دط، 1979.
- 38-عبد الله الغدامي: تشريح النص-مقاربة تشريحية للنصوص الشعرية المعاصرة-دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987.

- 39- عبد الحميد السيد: دراسات اللسانيات العربية بنية الجملة العربية والتراكيب النحوية والتداولية وعلم النحو والمعاني، دار الامد للنشر والتوزيع، ط1، دت.
- 40- عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي: ابراز المعاني في القراءات السبع، تح إبراهيم عطوة، مكتبة المصطفى الالكترونية، دط، دت، ج2.
- 41- عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، دط، 2007.
- 42- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية مصر، ط1، 2007.
- 43- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.
- 44- عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية الدار العربية للكتاب، ط3، دت.
- 45- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية - دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2004.
- 46- عبد الواحد حسن الشيخ: التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، ط1، 1999.
- 47- عبد الوهاب أبو صفية الحارثي: نظرية السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم،
- 48- عثمان أبو زيد: نحو النص - اطار نظري ودراسة تطبيقية - عالم الكتب الحديثة، ط1، 2010.
- 49- عفيفي أحمد: نحو النص اتجاه جديد الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دط، 2001.
- 50- قادر كريم الزنكي: نظرية السياق دراسة أصولية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 2006.
- 51- سمير حجازي: معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعية بيروت | لبنان، دط، 2004.
- 52- سعيد حسن البحيري: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

- 53- سعيد حسن البحيري: اتجاهات لغوية معاصرة،
54- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي،-النص والسياق- الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006.
55- سعيد يقطين: النص والنص المترابط، المركز الثقافي العربي، المغرب، دط، 2005.
56- يوسف العيساوي: أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2002.
57- يوسف نور عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1994.
58- يوسف نور عوض: علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1989.

المراجع المترجمة:

- 1- أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف لانعجز الأشياء بالكلام- تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، دط، 1991.
2- الجليلي دلاش: مدخل الى اللسانيات التداولية- لطلبة معاهد اللغة العربية- تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت.
2- بالمر: علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، دط، 1985.
3- جانوس بيوتي في كولنج: النص ضمن الموسوعة اللغوية - اللغة وسيلة مكتوبة - تر: محي الدين حميدي، عبد الله الحمداي، جامعة الملك سعود، الرياض، دط، 2000، مج1.
4- جورج مونان: علم اللغة في القرن العشرين، تر: غزاوي نجيب، سلسلة الكتب العلمية وزارة التعليم العالي، دمشق، دط، 1982.
5- جوليا كرسيفا: علم النص، تر: فريد الزهري، دار توبقال للنشر، ط1، 1991.
6- جون لانيز اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، مراجعة يؤيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987.
7- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1985.

- 8-دومينييك مانغونو:المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ،تر: محمد ياخي،الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف ،ط1، 2008.
 - 9-روبيرت ديوجراند:النص والخطاب والاجراء،تر: تمام حسان القاهرة،ط1، 1998.
 - 10-رولان بارث:لذة النص ،تر: منذر عياشي ،مركز الانماء الحضاري ،حلب ،ط1، دت.
 - 11-رومان جاكبسون:قضايا الشعرية ،تر :محمد الولي مبارك حنوز،دار توبقال للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،المغرب،ط1، 1988.
 - 12-ميشال ريفاتير:معايير تحليل الأسلوب،تر: حميد الحمداني،منشورات دار سال ،المغرب،ط1، 1963.
 - 13-فان ديك:النص والسياق-استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،تر: عبد القادر قنيني ،افريقيا الشرق،دط،دت.
 - 14-فرديناند دو سوسير:دروس في الألسنية العامة ،تر :صلاح الغرميدي ،محمد الشاوش،محمد عجينة الدار العربية للكتاب ،تونس ،ط1، 1985.
 - 15-فيندرس :اللغة ،تر :عبد الحميد الروخلي ،محمد القصاص مكتبة الأنجلو المصرية،مطبعة لجنة البيان العربي،دط،1950.
 - 16-هانس روبرت ياكوس:جمالية التلقي —من أجل تأويل جديد لنص،تر: رشيد بنحدو،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية المجلس الأعلى للثقافة،ط1، 2004.
 - 17-هيدسون :علم اللغة الاجتماعي ،تر: محمد عياد،عالم الكتب ،القاهرة،ط2، 1990.
- البحوث والمجلات:**
- 1-أحمد أبو حسن:نظرية التلقي والنقد العربي الحديث مجلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط سلسلة ندوات ومناظرات ،عدد 24، 1993.
 - 2-أحمد نايف الجاني:ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة الغموض الدلالية ،المجمع العلمي العراقي،ج4،عدد35، 1993.

- 3- نحلة فيصل الأحمر: تفاعل النص - التناسية نظرية ومنهج - مؤسسة الإمامة الصحافية كتاب الرياض، العدد 180، يوليو 2000.
- 4- عبد الرحمان بودراع: منهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة، قطر العدد 11، ط1، 2006.
- 5- فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي: دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى عليه السلام، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، 2005.
- 6- سعيد بن كراد: سياق الجملة وسياقات النص الفهم والتأويل مجلة علامات العدد 33، دس.
- 7- سعيد بن مقبل عيسى العنزي: الدلالة عند الأصوليين - دراسة نظرية تطبيقية - أم القرى، المملكة السعودية، 2007.

مِلَّةُ الْمُشْرِكِينَ

أداء لفظي : Diction

اختيار الكلمات ونوعية المفردات المستخدمة في نص ما، ويمكن تحليل هذا الأداء تبعاً لدرجة تجريد الكلمات أو طابعها المجازي .

البنية الفوقية: Superstructure

أشكال اصطلاحية تسم نوعاً من الخطاب وتتولى تنظيم متواليات والجمل ومنحها وظائف خاصة.

التاريخ: Historiographie

تسجيل الأحداث والأحوال والأحداث التي يمر بها مجتمع ما في فترة معينة ويمكن التمييز بين التاريخ والتاريخ بالقول بأن باحث التاريخ وظيفته جمع الحقائق التاريخية ووثائقها، في حين أن المؤرخ يرتبها ترتيباً يتفق مع ميوله الفكرية والدوقية.

التداولية: Pragmatique

اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق.

التلفظ : Enonciation

يعرفه بينفيست بأنه تسخير اللغة بواسطة الفعل الفردي الاستعمال وهكذا فهو مباين للملفوظ ككتابين الفعل عما يترتب عنه.

الفونيم: Phonème

هو أصغر وحدة مجردة من المعنى يقع على المحور التعبيري، وهو وحدة وظيفية لا تقبل لتجزئ على مستوى التمثيل التركيبي.

الكفاءة: Competence

القدرة التي يتمتع بها الناطقون بلغة ما والتي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناهي من الجمل الجديدة غير أنه لا يمكننا في مجال تحليل الخطاب، الاكتفاء بهذه الملكة

الملكة النحوية ذلك أنه تضاف إليها الملكة التداولية التي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملفوظ بالنسبة إلى سياق بعينه، ومن بين هذه القواعد، قواعد الخطاب

Les Lois du discours

الملفوظ: Enoncé

يطلق الملفوظ للدلالة على نتاج فعل التلفظ.

المورفيم: Morphème

هو مصطلح يمكن أن يغطي معاني مختلفة جدا من كاتب إلى آخر لكن الشائع أن المورفيم قسم من كلمة أو من مركب، يدل على الوظيفة النحوية في الملفوظ.

بنية: Structure

كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه.

تأويل: Herméneutique

مفهوم يشير إلى تفسير الإشارات النصية، باعتبارها عناصر رمزية معبرة عن النص وعن الحضارة التي نشأ أو ظهر فيها.

تعييني: Dénnotatif

مصطلح يستخدمه الناقد أو الباحث للدلالة على المعنى المحدد في النص بصورة مباشرة.

خارج النص: Exterieur du texte

كافة العناصر والوقائع الاجتماعية والتاريخية التي تؤثر على النص.

سياق: Contexte

مجموعة العوامل المؤثرة في أنحاء النص وفي تشكيله وفي النقد البنيوي الدينامي تمثل في المجتمع والتاريخ وفي النقد التفكيكي يتمثل في كل ما يجيء به القارئ ويحدد له استراتيجيات القراءة قبل تعامله مع النص.

ظروف الإنتاج: Conditions de production

ولا يدل على المحيط المادي المؤسساتي للخطاب فحسب بل كذلك للدلالة على التصورات المتخيلة التي تنهيا للمتفاعلين حول هوياتهم وكذا عن مرجع خطابهم.

عناصر النص: Eléments du Texte

جميع المقررات الظاهرة وما يحدث لها وما تحمله من دلالات ومصادر متعددة.

قارئ ضمني: Lecteur implicite

القارئ الذي يكون العمل الأدبي قد صمم لمخاطبته وكل نص يمكن أن يفترض أنه موجه إلى قارئ مثالي مزودا بالإمكانات المحددة الثقافية والمعنوية الملائمة لهذا النص لكي يحقق كل تأثيره.

ما وراء اللغة: Méta-Langage

مصطل يشير إلى وجود لغة خاصة تتضمن خصائص معينة لشرح أكبر قدر من الظواهر الإنسانية والاجتماعية والحضارية.

متلقي: Récepteur

القارئ الذي يجيء إلى النص بتوقعات مستمدة من أنه تعلم وظائف وأهداف وعمليات الأدب أو هو المبدع المشارك في المعنى والأهمية والقيمة.

مرجع: Référence

كل ما يكسب العمل الأدبي مضمونه من اتجاهات ومعايير أو قيم أو نقطة الارتكاز التي ينطلق منها الناقد ليحدد مركز العمل الأدبي من حيث قيمته وأهدافه ومعاييره.

مرسل : Destinataire

مصطلح ابتكره الناقد الروسي رومان جاكبسون للدلالة إلى ما يرجع إلى القائل باعتبار أن الرسالة الأدبية تتضمن مرسلًا ومرسل رسالة إلى مرسل إليه وهذا يحتاج إلى سياق وشفرة ووسيلة اتصال.

مؤلف ضمني : Auteur Implicite

مصطلح يشير إلى السارد في الرواية ، و وضعه من حيث القرب أو البعد من المؤلف وقد يكون هذا البعد معنويًا أو فكريًا أو فيزيقيًا أو زمنيًا باعتبار أنه يعلم كيف ستنتهي الأحداث.

نظرية التلقي : Théorie du récéption

مجموعة من القواعد والمبادئ التي تعالج المعنى والبناء في العمل الأدبي باعتبارها ناتجين من التفاعل مع نص القارئ الذي يجيء إلى العمل بتوقعات مستمدة من معرفته لوظائف وأهداف وعمليات الأديب باعتبار المبدع المشارك لا للنص ولكن لمعناه وقيمه بواسطة ثقافته اللغوية والإيحائية النفسية والاجتماعية.

نظرية القراءة : Théorie du Lecture

مجموعة من المبادئ النظرية المستمدة من فكرة الإسقاط أو قواعد الشرح أو مفاهيم الشعرية والإسقاط نوع من القراءة التقليدية والشرح نوع من القراءة الملتزمة بالنص وفق معناه الظاهري والشاعرية قراءة النص من خلال شاعريته ووفق ما هو في باطن النص .

وحدة الدلالة : Monosémie

ترابط أو تماسك ظاهر في بنية النص بوضع ويبرز المعنى الذي يسيطر على كل أجزائه.

وحدة دلالة : Monosésemie

عبارة أو جملة ذات معنى أو مضمون معين يكمن الإستيناد عليها لتأكيد الدلالة العامة المضمرة في النص.

وظيفة شعرية: Fonction Poétique

استخدمه جاكبسون للدلالة على العوامل التي تبرز تنوعاته اللغوية ،وتراكبها المتعددة التي تمنحه تعددية المعنى.

وظيفة وصفية : Fonction descriptive

مصطلح يشير إلى دور الوصف في النقد الشكلي ويقصد به إبراز الدلالة أو العناصر اللغوية والشكلية وعلاقتها بالنسق العام الذي يحكم منطق النص.

نقد أكاديمي: critique académique

عمليات الشرح للأعمال الأدبية وتقسيمها بواسطة الإستيناد إلى مفاهيم وأسس العلوم الإنسانية بعامة وعلم التاريخ والاجتماع والنفس واللغة بخاصة

الموضوع	الصفحة
مقدمة	
مدخل	17-5.....
الفصل الأول: تحديد المفاهيم	78-19.....
أولاً: مفهوم النص	19.....
1- لغة	19.....
2- النص عند العرب	20.....
3- النص عند الغرب	24.....
3-1- تعريفات لسانيات النص وتحليل الخطاب	25.....
3-2- تعريفات البنيوية	29.....
3-3- تعريفات السيميائية	31.....
ثانياً: مفهوم السياق	34.....
1- لغة	34.....
2- السياق عند العرب	37.....
2-1- السياق عند العرب القدامى	37.....
أ- السياق عند البلاغيين	37.....
ب- السياق عند النحويين	41.....
ج- السياق عند الأصوليين	43.....
د- السياق عند المفسرين	46.....
2-2- السياق عند العرب المحدثين	53.....

3-	السياق عند الغرب	53
3-1-	السياق قبل فيرث	56
-	دوسوسير والسياق	56
-	فيندرس والسياق	59
-	جاكسون والوظيفة السياقية	60
-	بلومفيلد والسياق	62
-	مالينوفيسكي والسياق	64
3-2-	نظرية السياق عند فيرث	65
3-3-	السياق بعد فيرث	68
-	السياق عند التحويليين	68
-	نظرية أفعال الكلام	72
-	علم لغة النص	76
-	الفصل الثاني :دراسة تطبيقية.....	80
-	أولاً:ملخص كتاب السياق والنص الشعري لـ علي آيت أشان	80
-	ثانياً:أهم القضايا في الكتاب	86
1-	علم أصول الفقه	87
2-	التداوليات	93
4-	جمالية التلقي	103
-	ثالثاً:الآراء النقدية لـ علي آيت أشان من خلال كتابه	111
1-	مفهوم السياق لغة	111

- 2- السياق وعلاقته بالمعنى والتركيب والمرجع 112
- 3- السياق عند العرب 113
- 4- السياق عند الغرب 115
- الخاتمة 118
- ملق المصطلحات : 125-121
- قائمة المصادر والمراجع 126
- المصادر.
- المراجع العربية.
- المراجع المترجمة.
- الفهرس.

ملخص

السياق هو مجموعة الظروف والشروط الخارجية التي تشترك في عملية إنتاج الخطاب شفويا كان أو مكتوبا وكثيرا ما ارتبط هذا المفهوم بالبحث في أقدار السامعين ومقتضى أحوالهم، كما يبحث في العلاقات القائمة بين الوحدات داخل تراكيب كلمة وسياق جملة ما، باعتباره أداة إجرائية يمكننا أن توسع دائرة فهم النص الأدبي، وقد حاولت في بحثي هذا إعطاء مقاربة لمفهومه عند العرب انطلاقا من علماء النحو والأصوليين والمفسرين والبلاغيين، أما عند الغرب فقد حاولت بيان مفهومه في العديد من الاتجاهات أهمها التداوليات وعلم النص وجمالية التلقي وذلك بالاعتماد على كتاب السياق والنص الشعري-من البنية إلى القراءة لـ علي آيت أشان تطرقت فيه إلى أهم القضايا التي جاءت في الكتاب وأهم الآراء النقدية التي طرأها هذا الناقد حول السياق.

Résumé

Le contexte est l'ensemble de circonstances et de conditions extérieures qui participent dans la production du discours oral ou écrit.

Cette définition est liée dans la plupart des cas à la recherche dans le niveau de récepteur et leur situation.

Je cherche dans les relations entre les unités à l'intérieur d'une phrase opératoire qui peut développer la compréhension du texte littéraire.

J'ai essayé dans ma recherche de rapprocher sa signification chez les arabes à parler des grammaires chez l'occident j'ai essayé d'éclaircir sa définition par deux directions on peut citer la pragmatique et la science du texte et l'esthétique de la réception. Dans le livre contextuel et la structure du texte à la lecture dans le livre Ali ait EShan et les opinions critiques qui exposent ce concept de contexte.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ